أفكار حرة

القصص الفائزة في مسابقة القصة القصيرة لصفحة #سوق_كتابك

مجموعة قصصية

facebook.com/sawi9kitabak

سوق كتابك
رواية - قصة - خواطر - مجموعة أدبية

أفكار حسرة

مجموعة قصصية

مجموعة مؤلفين

إسم الكتاب: أفكار حرة

تأليف: مجموعة كتاب

تصميم الغلاف: أ. سفيان

سنة النشر: 2019

تدقيق لغوي: أ. هند علي

توثيق : دار نهر الكتب

رقم الإيداع: 2019/10780

الترقيم الدولي: 978-977-67-17-03-9

مسابقة سوق كتابة الأولى

صفحة سوق كتابك

facebook.com/sawi9kitabak

تمهيد

كل الشكر والتقدير لكل من قدم مجهوداته التي نحترمها جميعا، ونرجوا أن يعي جميع الكتاب الأفاضل بأن قبول العمل من عدمه في مسابقة سوق كتاب للقصة القصيرة ليس نهاية المطاف.. وأن الهدف الأساسي من المسابقة هو تشجيعكم على العطاء، وقد تكون هذه المسابقة بداية للعديد منكم في مجال الإبداع، كي نكسب كاتبا كبيرا نفخر بأن بدايته كانت معنا.. لا تجعلوا خطوة واحدة توقفكم عن مشواركم الطويل الذي نرجوا أن يكون مفيدا ومصلحا لمجتماعاتنا، ولا تنسوا أن الأقلام والكلمات تغير البشر من النقيض إلى النقيض، لذلك حافظوا على نقاء أقلامكم وطهارتها، لتصبحوا ملاذا ومنارة لأجيال قد تجد فيكم الضوء الذي ينتشلهم من عالم أصبح الظلام فيه سائدا بكل صوره..

سفيان

مقدمة

تخيل ذاتك فى سرداب عميق يضم مجموعة مختلفة من الغرف، يدفعك فضولك للتنزه بكل غرف السرداب والبحث في كل غرفة؛ لتجد بداخلها قصة ذات طابع مختلف عن القصة التي تليها والقصة التي تسبقها، وبطل مثير للإهتمام يقص عليك أحداثًا مختلفة ومشوقة، وكأن كل غرفة بها عالم آخر لا ترغب فى مغادرته، ولكن عند المغادرة إلى الغرفة المجاورة تجد ما يجذبك أكثر بقصص العوالم الأخرى الموجودة بالسرداب.

أتمني لك نزهة ممتعة داخل سرداب "أفكار حرة" بأقلام مبدعة..

بقلم الكاتبة

حنان جمعه

إهداء..

إلى تلك الأقلام العظيمة التي أبدعت ولاقت استحسان الجميع بما قدموه من رسائل وحكايات ومشاعر تصل إلى وجدان القارئ وتتغلغل بين فكره ومشاعره... إلى جميع المشاركين بمسابقة القصة القصيرة

لكم منا كل الاحترام والتقدير تجاه مواهبكم العظيمة و رسائلكم التي تكمن بين طيات صفحات هذا الكتاب وسجينة بين تلك السطور...كان شرف كبير لنا مشاركتكم بالمسابقة.

فكل الشكر للمشاركين بالمسابقة غير الفائزين على ما قدموه ونتمنى من الله أن نتشرف بمشاركة أعمالهم بالمسابقة القادمة.

شكر خاص إلى الكاتبة حنان جمعة

شكر خاص إلى الصديقة نور البداوي

بقلم الكاتبة

منة البهنسي

الحراك ـ ليندة كامل

وأنا غارق كعادتي في أحلام الوجد، أهرب من كل هذه الأوضاع التي أغرقتنا في مستنقع من الإحباط والأوجاع، أتنفس بعضًا من الوهم علّه يكون ترياقًا لطاقة أدفعها للإستمرار في عالم السواد، أخبار متفرقة هنا وهناك في مجلات إلكترونية بعد ما مللت من البحث عن فرصة للعمل، وفجأة وصلتني رسالة عبر تطبيق المسنجر، دون تردد فتحتها ... صورة لبذلة صفراء فيها تاريخ 22 فبراير، ودعوة للخروج إلى الشارع.

همست في نفسي: هل حقًا سيخرج الناس إلى الشارع؟ "وقد وصل الموس للعظم" ؟ الشارع الذي لم يتحرك منذ عشرين سنة، كيف له تلك القوة ليتحرك؟ وامتلأت عقولنا بمشاهدة الدم والموت في بلدان عربية شقيقة، وأخبار عن الموت، كأنه أبرم صفقة مع هذه البلدان، هل نستطيع أن نتحرك وسط هذا الهبل؟

نتحرك؟ قد تكون معجزة إذا ما حدث هذا فعلا ...

أغلقت الحاسوب وكلي قناعة إن فكرة الخروج للشارع فكرة بعيدة المنال، فلم أقنع بها، لقد اسود كل شيء فينا، حتى الحلم نسترقه خلسة، في أقبية الصمت، أو الهجر أو داخل نص يتيم ندونه على حائط بائس ننقل له هواجسنا كلما ضاقت بنا الدنيا.

أذكر أنني نقلت هذا على يدي بوشم من الذل " قلب يقسمه سهم ورسم لإسم أحلام" تلك الحبيبة التي تزوجت غيري، فقط لأني لا أملك شيئًا سوى الكتابة لها، وإرسال الورود والقبل ... و مضي العمر ولم أستطع أن أتقدم إليها وطارت من بين يدي كحمامة، وتركتني أدون حروف اسمها في معصمي؛ لأقتل حبي لها، وأضع نهاية لنا أدفنها بين حروف وشمي.

حـراك؟ لقـد قتـل كـل شـيء فيّ، بـت شـبحًا يقتـات الضـجر والحـزن منـه تمامًـا كمـا يقتـات مـن سـجائر ملفوفـة بقـرف زادني شرودًا وضياعًا، ولم أعد أميز بين صحوي ونومي .

يتحـدثون عـن الفسـاد، نحـن نمـاذج لكـل ذلـك، وقـد وصـل الحـد برفيقـي بعـد غيابـه عـن الـوعي بفعـل المهلوسـات إلى قتـل والدتـه ودفنهـا بيديـه، آه يـا وطـن ذبـح الأمـل فيـه مـن الوريـد إلى الوريد... وبتنا نذبح أمهاتنا!

رفـع تذكرتـه الموضـوعة في صـندوق صـدأ، وكتـب مخطوطًـا ووضـعه تحـت الوسـادة، أخـذ حقيبـة صـغيرة ودلـف البـاب خلفـه، وتحـت الوسادة وضع رسالة أبكت الحجر

"سـامحيني يـا لميمـة...كون قعـدت هنـا... كنـت كمـا صـاحبي وأنـا خـائف أكـون كمـا هـو... أهـرب بنفسـي حـتى لا أكـون سـببًا في قتـل مـن تخبطـت في بطنهـا، أهـذه هـي الـدنيا الـتي كنـت أضـرب بطنك من أجلها! يالا السخافة ".

لقد بيع كل شيء في أسواق الأمل، وضع في حقائب وزوارق، وها نحن هنا في زورق لا يتعدى المترين نصطف كالسردين نناشد الرّب أن نصل أحياء لا جثث.

وجاء الفجر... أليس الفجر ببعيد؟

غفوة دفعتني للغوص في عالم الأحلام، كان علي أن أغادر قبل الفجر؛ كي ألحق بالشلة وإلا فإن المبلغ الذي جمعته ودفعته لأحجز مقعدًا لي في الزورق سيذهب إدراج العبث.

إنتقل في سيارة أجرة من مدينة شرق الجزائر الوسطى إلى مدينة عنابة نقطة انطلاق الزورق، رحلة دامت أربع ساعات وهو يمتلئ أملاً في الوصول، لم تعد الحياة تطاق في وطن يغتال الأمل فيه كما تغتال ذرات الهواء التي تدخل إلى الرئة بمواد سامة، ازدحام غير مسبوق وتوتر في الأعصاب و الوقت يمر وقد فاته موعد الوصول إلى الزورق، جن جنونه وراح يصرخ في وجه السائق: لقد تأخر الوقت... إفعل شيئًا.

أخبره أن الأمر يفوق طاقته وأن الازدحام جاء من وسط المدينة، وصلت التاسعة والازدحام يزداد كأنه يوم حشر... اضطر السائق إلى ركن السيارة وترجل معاد حاملا حقيبته، وجد نفسه وسط حشود من الناس حاملين أعلامًا وطنية تردد بصوت واحد وقلب واحد: "بوتفليقة يا المروكي... ماكانش عهدة خامسة... جبيو البياري... وزيدوا الصاعيقة... او او ماكانش خامسة يا بوتفليقة او او..

جيش شعب خاو خاو... حط الكاشكيطة ورواح معانا "

وراح يستذكر الرسالة الالكترونية في تطبيق المسنجر تاريخ 22 فبراير، دخل وسط الحشود وأخذ علمًا، غرق وجهه بالبكاء بلا تردد، راح يعيد شعاراتهم بكل جوارحه، صوت يولد من قلب فقد الأمل في مثل هذه اللحظة وراح يردد وبلا حواجز "جبيو البياري... وزيدوا الصاعيقة... او او ماكانش خامسة يا بوتفليقة او او" هتافات غرست شحنة كهربائية فيه كأنه ولد من رحم الشارع "ارموا أحلامكم إلى الشارع يلتقطها الوطن"

وبات حضنًا يضم الجميع بدموع تنهمر وصوت يشبه ذوي القنابل ،امتلأ الشارع عن آخره، أي سحر ذاك الذي غرسته فيه تلك الهتافات والناس كرجل واحد، وصوت واحد، وحلم واحد في وطن واحد، أول مرة شعر أن له وطن، يحميه ويدافع عنه، ويستظل بظله، ويتدثر بعبق حبه.

خرج الأمل في حناجر غلفها عشق الوطن،كأن هذا الحب دفن في القلوب لنشهده في شارع مزدحم بحبه ماذا فعل بنا هذا الوطن، نتشرد من أجله ونعود إليه مدججين بعشقه مسيرات إعتبرها العالم من أضخم وأسلم المسيرات في التاريخ لندخل إلى كتاب "غينس" من باب السلام بعدما دخلناه من باب اليأس، وعاد الدم إلى عروقنا وأزهر الربيع في صدورنا وبات تراب الوطن أول ما نقبله كل صباح، ودب الأمل فينا دبيب العشق والهيام، وبات لأحلامنا معنى، ورحنا نخطط بأيدينا للمستقبل وللوطن أي وطن سنعيش فيه.

القدر يرفض مغادرته ـ أنوار علي

"أيها الأحمق، هل ستظل طويلاً على هذا الحال!؟"

رددها وهو يخاطب نفسه بلغة شديدة تجمع بين العتاب

و التهكم، ظناً منه أن يستثار غضباً و يعود إلى صوابه.

لكنه لم يبدي أي ردة فعل، لازال على حاله منذ أيام عديدة و قارب على إتمام شهر بأكمله وهو لا يغادر غرفته أو "خرابته"، هذه الغرفة التي لا تتعدى بضعة أمتار فوق سطح بناية عتيقة تكونت من عشر طوابق بالية مهدده في أي لحظة أن تنهار على رؤوس ساكنيها، ولكنها شهدت أحلاماً تفوقها حجماً و غايات تسبقها مساحة و أعمالاً لا تقارن بجمالها ولو بنقطة سوداء تتوسط ورقة بيضاء، المكان الوحيد الذي احتواه بعد أن عاش حياة المشردين والمجرمين منذ أن وُلد دون أن يعرف له إسم أو نسب.

عُثر عليه طفلاً حديث الولادة في أحدى سلات المهملات التي تملأ شوارع المدينة عارياً، يقارع الموت وحده رغم كُل الظروف البيئية والجوية، لم يخضع لسوء نظافة ما حوله ولا شدة الصقيع الذي يتساقط نحوه، وجده أحد عمال النظافة للوهلة الأولى خُيّل له دُمية مللها طفل ثري ثم رماها بهذه الوحشية، و لكن بعد لحظات صدم بوحشة أكبر بل جريمة أشنع حين أعلن الطفل طلباً لنجدته بنوبة صراخ علت المكان أفزعت جميع المارة الذين كانوا بالقرب منه.

توجهوا به لأقرب مستشفى، ربما كانت تلك المرة الأولى و الأخيرة التي شعر فيها بخوف و محبة العالم.

وعلى خلاف ما توقع وأراد الذين ألقوه للموت بهده الفظاعة، قاوم ذلك الطفل الموت أو توقف التنفس لأنه كان ميت على قيد الحياة، لم يحيى حياة من هُم في سنه، عاش من المشقة و الحرمان و البؤس ما يكفي، لم يستطعم حلاوة الدنيا ولم يبصر أي سعادة بأي شكل كان.

الشيء الوحيد الذي حال دون أن يفقد سبباً للعيش هو التعليم و إن كان رديء الجودة، و مواهبه التي أعانته كثيراً وخففت عنه العبء الذي حمله عن عاتقه، تلك الأشياء فقط التي صنع منها عالماً آخر كاد أن يكون فيه أغنى الأغنياء كما تصور، حيث تميز بأنه قارئ نهم... و كاتب جليل... و رسام بارع، بالإضافة عرف أنه طالب نجيب سخّر كُل ما يملك في إيصال صوت الواقع الحقيقي القابع في حناجر المضطهدين أمثاله من وجب عليهم الصمت على الدوام و كأنهم بكم!

وبالرغم من كافة جوانبه اللطيفة و المبدعة تلك، إلا أن المجتمع الذي يحاصره لم يلمح سوى جانب واحد فقط وهو أصله!

من هو؟ من أين جاء؟ لأي دين أو فئة ينتمي؟ و لماذا قبل لنفسه هذه الحياة؟

تمرد، حارب، و كافح، ثم دافع منذ نعومة أظافره إلى أن اشتد عوده... و لكن لا جدوى في نهاية المطاف لقى نفسه وحيداً

هـزيلاً بـين فوضـى عارمـة مـن الأفكـار و الوسـاوس. الـذكريات الـتي تغـزوه كـل حـين، كيـف تهـاوت عليـه المصـائب مـن كـل حدب و صوب وكيف اجتاحته المآسي و صادمته العقبات؟

طوقتـه الآفـات ولم يجـد بصـيص أمـل للبقـاء، وهـو الـذي عـاش حياتـه متسـائلاً لمـا قاومـت المـوت بأعجوبـة؟ بـل كـان علـي أن أغمـر بالسـعادة لأنـني سـأحظى بالمغـادرة مبكـراً دون أن تتـوالى علـي الحيـاة بالصـفعات، لمـا كنـت أتـوق للحيـاة هكـذا، مـاذا عساني سأحصد في الختام؟

أمضـى حياتـه يجاهـد لعـلّ يومـاً مـا يجـد إجابـة شـافية تشـبع غريزته.

في موقـف منقطـع النظـير بالنسـبة لـه منـذ أن قـرر الانعـزال عـن العـالم الخـارجي نهائيـاً، وقطـن هـذه المقصـورة الـتي تبـدو مغلقـة لـيلاً نهـاراً لا تلمحهـا شمـس النهـار أو قمـر الليـل مـن الطـرف الآخـر،

المكـان الـذي تغـزوه الرائحـة الكريهـة مـن عـدم التهويـة و كـذلك لعدم استحمامه الذي امتد لفترة عزلته.

بيـد أن جمالهـا يكمـن في عشـوائيتها... سـرير مهـتريء ووسـادة يتسـلل الاسـفنج الـذي بـداخلها إلى خارجهـا بإسـتمرار، سـئمت الترقيـع، ومكتـب مـن مقعـد وطاولـة تحـوم الشـكوك بأنهـا تعـود للعصـور الوسـطى، مصـباح بإضـاءه خافتـه يتوسـط السـقف الـذي يهـدد بالسـقوط بـين الفينـه والأخـرى، وبعـض الكتـب والمـذكرات والأقـلام الـتي يقبـل بسـرعة الـبرق علـى المكتبـات ليشـتريها بـبعض الـدراهم الـتي تكـون بحوزتـه فـور حصـوله علـى المرتـب الضـئيل الذي يجنيه من أعماله السخيفه.

رمقـت عينـاه قطعـة صـغيرة مـن مـرآه متصـدعه علـى الأرض تحـرك بخطـوات ثقيلـة و انحـنى قلـيلا للإمسـاك بهـا، راح يلقيهـا علـى كامـل أطـراف وجهـه الـذي بـات الأرق وقلـة النـوم والأكـل يغـزو ملامحـه، هلـع لمـا رآه وسـرعان مـا أسـقطها مـن يـده و كأنـه رفـض حالتـه الغريبـة ومـا آلـت إليـه، نظـر أيضـاً إلى نحافتـه المفرطـة الـتي

جعلته يظهر بهيئة هيكل عظمي دون مبالغة، وهو على مر تلك الأيام كان يقتات على بعض رغائف الخبز اليابسه وشرائح الطماطم والبصل التي باتت فاسدة المعلم والطعم من سوء الحفظ غير أنه لا يبالي بذلك طالما تسد شيئاً من جوعه الشديد.

أغمض عيناه بشدة، يقلب في عقله مجريات حياته من جديد آمل أن يعثر على مبرر يقتضي العيش لأجله، وللأسف لم تناشده سوى المنغصات التي تغرز خناجرها بقلبه وعقله اللذان اتفقا على فناءه من الوجود.

حيث لم يكن برفقته صديق أو حبيب ولا من يدعمه أو يقدره طوال حياته، بل صادف من يتفنن بإذلاله ويستغل ضعفه وقلة حيلته ويصعد على حساب ذكاءه ومهاراته، ويبرز هو دائمًا في حال رث، وقُيّد للقيام بأعمال تمنح لأي كائن يحسن تحمل العناء لا يهم أن ارتاد يوماً المدارس أم لا.

بعد أن أخذ قراره أو انتزعه إن صح التعبير أمسك ورقة وقلم ليكتب آخر كلامه، عندما فكر بالأمر قليلاً... من سيقرأ ما يكتب ومن سيهتم لذلك، طوال حياته لم يكن أحد يلقي بالاً له ولما يخطط فارتد عن فكرته، ثم هرع مسرعاً نحو النافذة؛ ليعلن فتحها على مصراعيها يتأمل حركة المارة والركض خلف أعمالهم لا يشغلهم أحد ولم يتعطل أي منهم بسبب آخر، الحياة تستمر لا تأبه بمن أوقف نفسه عليها ومن دفن نفسه في مآسيها.

بعد برهة من الشرود أخذ يتمتم في خاطره:

أما آن الآوان أن تنتهي هذه المهزلة لا داع للبقاء، طالت معاناتي بلا رجاء واعتدت الأمر بما يكفي وقهرت كما لم يقهر غيري، سئمت حياة لم تكن على شاكلتي، تشابهت أيامي ولا بوادر للتغيير تلوح أمامي لا مزيد من التخاذل، إلى السكينة، إلى الوداع.

هــذه كانــت كلمتــه الأخــيرة قبــل أن يرمــي نفســه مــن النافــذة لــيرتطم بعربــة النظافــة الــتي ارغمتــه الريــاح القويــة علــى ذلــك، ليكمل القدر مشيئته ويرفض مغادرته، فيعود من حيث أتى!

النيزگ العجوز – بسمة بوالصوف

أول يـوم لي بالمدرسـة... لم يكـن كأيـام الطلبـة العـاديين، لا أم مشوشـة هنـا وهنـاك تجمـع لي ملابسـي وأشـيائي وأكلـي، ولا أب متحمس لإيقاظي لمدرستي.

وبينمـا أنـا ألملـم الأدوات بالحقيبـة تظهـر امـرأة هزيلـة الجسـد قصـيرة القامـة، تظنهـا مـن بعيـد أختـي الصـغرى... لكـن تلـك جـدتي، مـن رعتـني، أحبتـني وآثـرتني دومـا علـى نفسـها... قادمـة وبيـديها بضـع رغـائف وصـندوق جـبن صـغير وبضـع لـيرات تقـدمها لي بابتسـامة تغمرهـا وتـدعو لي بـالفلاح بهـذه المناسـبة العظيمـة لي ولهـا، كـان ذلك الوجه البريء كفيل أن أكتسب منها هِمم الدنيا كافة.

وكمـا هـو الحـال اسـتقليت حافلـة القريـة وابتـدأت باسـم الله... كـان الصـغار يـرددون نشـيد الجزائـر قسـمًا وهـم يضـحكون... سندرس... سندرس.

لندخل بأول صف وياليتني لم أرى.

ليت عينايا لم تحطان على الحياة الحقيقية التي يعيشها الناس، كلهن مميزات بلبسهن وقصات شعرهن، فكرت للحظة أني لست بنتًا قط، الكراسي والطاولات لا تشبه أبدًا ما عندنا بالبيت.

سكووت... دخل الأستاذ ليلقي الدرس علينا كانت الساعة تركض كأنها أرادت لحاقنا بالبيوت سريعا، أسمعها تردد لنا ليس عالمكم... لا تحلموا طويلاً.

رجعت للبيت لأجد جدتي المضيئة من جديد وأنغمس بعالمي هناك، ألقت عليّ السلام فلم أردّ، بطبيعة الحال فهمت أن بي شيئًا... لذا حاولت أن تجذب لها الكلمات من فمي.

سألتها: جدتي أليس لي حق في العيش كأولئك... ألبس وآكل مثلهم؟

لو رأيتي كم هم أنيقون ومميزون! كنت أمامهم مضحكة جدًا.

ضمتني لها طويلاً كنت أعلم أن الفقر ليس عيبًا، لكن لا أريد العيش به طوال حياتي، أريد حقًا أن أنقذ جدتي من هذه الحفرة، من مضيق الجيران المستغلين لطيبتها دومًا وحنانها وإحسانها، لما استطاعت هي التحمل لا أدري!

في تلك اللحظات همست لي بأذني: ابنتي كوني كالجبل لا يهز منه الريح ذرة رملة، ارتفعي بطموحك للسماء وقولي أستطيع لأن الله معي حينها فقط ستخرجين من هذه الرقعة السيئة.

دخلت كلماتها كالسهم في قلبي وأبت الخروج... سَأكد إذن لأصل للحياة التي أريدها رفقة تلك المرأة الحديدية.

عدت للمدرسة طبعًا ودرست وتخرجت بمعدل لا بأس به 80% و سجلت الطب البشري... كانت فرحة جدتي بي لا توصف تلك الأيام، لكن تغيرت جدتي كثيرًا... بات وجهها شاحبًا أكثر وأصفر أكثر، تتناول أدوية كل يوم... لم تخبرني

عـن مرضـها تتهـرب دومًـا بالسـكري والضـغط لكـني كنـت متيقنـة أنه أكثر من ذلك... بنفس الوقت اعتدت وهي اعتادت.

أول يـوم لي بالجامعـة خرجـت مـن قـريتي فرحـة جـدًا بمـا وصـلت إليـه حـتى أن جـدتي لم تتركـني ووصـلت معـي حـتى المدينـة، لم أكـن لأعـرف كيـف أمشـي تلـك الخطـوات نحـو النجـاح لـولا تلـك المـرأة، كانت مرشدتي ومعلمتي وعائلتي التي أخذتها الحياة مني.

رجعـت بالمسـاء وأنـا أقفـز فرحًـا... لأرى مـن بعيـد تجمعًـا غريبًـا لأهـل القريـة بجانـب منزلنـا... الكـل ضـامم ليديـه يبكـي ويـترحم ... ماهذا!

صندوق الموت!

كنت أسميه كذلك وأنا طفلة... لم هو هنا؟

تقـدمت أكثـر لتبـدأ التعـازي لي... رحمهـا الله يـا ابنـتي و أسـكنها الجنة... رحمها الله.

لم أفهم بعد... بدأت دقات قلبي تتسارع... لم أعد أستطيع الوقوف؛ رجلاي تجمدت... سقطت هناك...من هنا!

من توفى؟

أجل كنت أعلم أنها هي... رحلت للأبد... كيف؟ كيف تذهب وتتركني أصارع هذه الحياة دون جناحين؟

سأسقط وفي كل مرة أنكسر حتى تغيب شمسي، تقدم الجيران حولي؛ ليعيدو سيناريو العزاء... رحمها الله إنها جدتك أسكنها الله فسيح جناته.

خانتني عيناي حينها فلم تسقط دمعة واحدة حتى أني لم أستطع لمس ذلك الصندوق الذي يحمل أزكى امرأة.

حمله الجميع إلا أنا! وتكلم كلهم إلا أنا! كيف؟

لم أفتح عيناي بعد من هذا الحلم وهي تقل لي مابك يا صغيرتي؟ هنا عرفت حقا... لقد فارقتني للأبد!

مر يومين لم أعتد بعد غيابها! لم أعتد بعد رائحة البيت، وهو الآخر لم يحب رائحته دون أن تكون مختلطة بعبيرها الذي يحيي النفس من جديد.

كان معها سرطان... حيا معها ولم تقل لي يوما!

لما؟ أكان الأمل ضعيفا لدرجة أنها لم تودعني؟

تخرجت من كلية الطب بعد تسعة سنوات... فقد أكملت التخصص خارجا نحو الحفر أكثر بهذا المرض السم!!

تخلت عني جدتي وتركت لي مهمة إنقاذ البقية... وأنا وعدتها يومها أني سأكون معهم... كل يوم بكل دقيقة كنت أُكرس نفسي لهم، وأسعد حين يخرج أحدهم من ذلك المشفى اللعين.

اعتدت عليهم ربما لأن روح جدتي كانت تتواجد هناك، لولا أن الوقت انتهى... لولا أنه إنتهى.

أواخر ديسمبر ـ لميس محمد وهبي

لـن تشـعر بفجاجـة الـزمن إلا مـن خـلال تلـك التجاعيـد الـتي تطفلـت علـى نعومـة مـريم، لـن تحـس باجتيـاح الوقـت إلا عنـدما تجـد السـاعات قـد أدمغـت كعبهـا علـى جفـني محمـد، فأخفـت اتسـاع عينيـه الزرقـاوات، ولـن تـتلمس النهايـات إلا عنـدما تدغـدغ شـعيرات أنفـك رائحـة المرخيـات العضـلية وزيـت حبـة البركـة وقـد تغلغلـت حـتى في فخاريـة المـاء، علـى وسـادة مـريم و تحـت أظـافر زوجها محمد.

لـن تلتفـت إلى رقـم المـيلاد الـذي اعتـدتَ أن تصـفق لـه كـل عـام غـير آبـه إلى تلـك الشـمعة الـتي تـذوب مـن عمـرك، كـان مـن الأجدر بك أن تنحب.

لم يكـن مـرور الـزمن سـريعاً علـى تفاصـيل مـريم و محمـد، عُمـر جمـع الـزوجين منـذ أن بلغـت مـريم السادسـة عشـرة و اقترنـت مـع محمد بحياة جديدة.

لم تكن الحياة بتلك السلاسة نوعاً ما، لكنها عاندت خطوط النهاية وأبت إلا أن تستمر وهي تصحب مريم عن يمينها ومحمد عن شمالها، حيث امتد الطريق وعراً إلى فقر أثقل كاهل الشاب الطموح الأب لثلاثة أطفال، وليس من الغريب أن يلجأ للسفر طلباً للرزق، وانقضت الأعوام بقدها وقديدها، بحلوها ومرها، وطوت ستة وثلاثين عاماً من الغربة و الكفاح، ليجد الحاج محمد نفسه بجوار تلك العجوز الشقراء الوردية الوجنتين رغم خمسة وخمسين عاماً، تضع الأطباق و قد انتشرت رائحة الأرز في الغرفة الدافئة، وبالكاد يستقيم ظهرها من ألم الديسك: تفضل، الغداء جاهز. وبنفس نبرة الأمل المعتادة في صوته: ما ألذه!

ترد مريم وبذات النبرة المتهكمة التي تشوبها الحسرة: من تمازح يا رجل؟ البيت أقفر والأولاد رحلوا.

وبتعقله الذي عهده بنفسه: الحمد لله يا امرأة، تلك سنن الكون، فلا تتوقعي أن تتوالى الأجيال مع ثبات الزمن، حياتنا

مرصـــودة بعقـــارب الســـاعة وأوراق الرزنامـــة وتقلـــب الفصـــول، عليكِ ألا تخشي الفناء فهو أصدق الحقائق.

تقاطعه دامعة: وأعمقها ألماً.

يسـود صـمت لـيس يعكـره سـوى صـوت ابـتلاع لقيمـات الأرز في فـم الحـاج محمـد.، تقـاطع غـداءه مـن جديـد وهـي تهـز قـدمها نوعـاً مـن تخفيـف التـوتر: لـو انتهـت هـذه الحـرب لكـان باسـتطاعة البنات القدوم إلى البلاد، تباً لهذا الانتظار كم طال!

وبصبره المعتاد: تلك مشيئة الله.

ويكمل طعامه.

بنـبرة غضـب: يسـتفزني صـبرك أمـام عـاطفتي، كيـف لي أن أخـدر شـوقي، سـعاد سـافرت إلى حيـث زوجهـا ولم أرهـا منـذ أربـع سـنوات، وسـها عـبرت الحـدود إلى بـلاد اللجـوء والله وحـده يعلـم مـتى تعـود، عـداك عـن إبـراهيم الـذي فـات علـى موتـه أربـع سـنوات مـن الحسـرات، بـالله عليـكَ كيـف لي أن أمـتهن الصـبر

وأنا أنتظر الموت في هذه الوحشة والوحدة التي تمحق عمرنا يوماً بعد يوم!

ما بوسعنا يا امرأة، فلا أحد يهتم لديسمبر الأخير بقدر الاهتمام لانقضائه وصولاً إلى يناير جديد، لنسعد بما مضى من فصول عمرنا، فعزاء كهولتنا هي ربيع شبابهم، تلك مشيئة الله في كينونة هذه الحياة، لنكللها بالرضى.

ترد وقد تضاعف توترها: إذا لننتظر الموت.

يزداد طرق قدمها مع زيادة انفعالها والكآبة تدمغ معالمها على المنزل العتيق.

ربما كان الحاج محمد يبصم على إقرار الحقائق التي قالتها الحاجة مريم، إلا أن عقلانيته كافية لأن يتحكم بعواطفه وتقبله لحقيقة الوحدة الموصولة بالفناء.

في صباح جديد مختلط الطقوس كالحلم في أواخر ساعات النوم، تعاني الحاجة مريم من وعكة صحية ليست بالخفيفة على

ما بدا لزوجها، يهرع بها مسرعاً إلى أقرب مشفى وهو يتصبب خوفاً وتعباً، اختلط اضطرابه بصوت نفسه الذي يفضح ذلك الستيني المرهق حقاً، لكن لماذا كل هذا الهلع؟

لا شك أن مريم لها مكانتها بحيث لا يمكن اختصار أربعين سنة من العشرة في شيء من الاضطراب وحسب، لكن ثمة خوف آخر من نوع مختلف، له هيبة يقشعر منها الخوف بحد ذاته، أهو الفناء ياحاج؟

يشيح عن هواجسه بنفس بالكاد يصعد ويحاول الدعاء لزوجته في غرفة العناية المشددة ,قلبها يخبو شيئاً فشيئاً، صدمة كهربائية، توت...

صدمة أخرى أطول منها، توت. بف. بف. بف. بف

الحمد لله عاد النبض.

يدخل محمد وقد استقر حال زوجته نوعاً ما: كيف حالك يا أم ابراهيم؟

تبتسم بتهكم متعب: لازلت أنتظر الموت معك.

بأي ذنب - هويدا أبو سمك

نفس الكابوس الذي يأتيها بين حين وآخر، يدخل دون استئذان إلى قلبها ليمسك بزمامه فيعتصره بألم، ويتركها تتخبط تصارع هذه الخيالات المغطاة بالدماء بينما تفيق تصرخ وجسدها ينتفض فزعًا.

صرختها لا توقظ أحدًا فهي تعيش منذ سنوات مع جدتها التي تعاني من ضعف السمع، بينما تعلم جيدًا ان لا أحدًا من الجيران يهب إلى منزلهم لنجدتها، هذا المنزل الذي وضعوا عليه شارة غير مرئية كتب عليها ممنوع اللمس.

رنين المنبه أعلن عن موعد يقظتها ليوم جديد تبدأه في السادسة صباحا، فرفعت الغطاء عنها بضيق، وبدأت في روتينها الصباحي الذي اعتادت عليه دون تفكير.

كانت خطواتها داخل المنزل تعكس خوفًا اعتادت أن تعيش معه منذ سنوات، ولا تجد أملاً في التخلص منه، بينما بدأت بتحضير وجبة سريعة لها ولجدتها.

خياراتها لاختيار ملبسها اليومي كانت محدودة، فالدولاب لا يحمل إلا القليل من القطع، والتي اعتادت أن تبدل بينهم دون شكوى، فارتدت ما التقفته يدها أولا، ثم وقفت تنظر أمام المرآة متأملة.

عيناها تحمل الكثير من الأسرار التي لم تخترها، ويعيش الحزن والألم بين تقاسيم وجهها فيترك بصمة عاشت لثماني سنوات، فتمددت ووصلت لكل نسيج منها ولم تترك مكانًا لم تغمسه في مرارتها.

القليل من هم في القرية لا يعرف قصتها، فحكايتها تلعكها الألسنة طوال الوقت، وفي تلك الأوقات القليلة التي تفتح فيها شرفتها تجد الأعين تتجه نحوها، فالناس لا تنسى، ولا تغفر

حتى لمن لم يرتكبون ذنبًا، بل تتحول النظرات المراقبة إلى سهام تخترقها دون رحمة.

صوت جدتها جعلها تسرع إلى غرفتها وهي تحمل صينية صغيرة عليها بعض المأكولات سهلة البلع، فقائمة أمراض جدتها طويلة، ورغم كبر سنها إلا أنها لا تجد مانعًا من توبيخها بين الحين والآخر لتقصيرها في أي شيء، حتى وإن لم يكن حقيقيًا.

لا تعرف إن كان سوء القدر هو ما جمعهما معا أم أنها إرادة الله، لو كانت كل منهما ذهبت في طريقها منذ سنوات لعاشت كلتاهما حياة أفضل بكثير.

عادت من جديد إلى غرفتها فقابلتها المرآة مجددا، هذا الاختراع البسيط الذي تحول إلى نقمة لا غنى عنها، مرآة بسيطة تعكس جمالاً واضحاً ضمن ما ورثته عن والدتها، ويظن الناس أنها

ورثت المزيد، عشرون عاما هذا هو عمرها الحقيقي، ولكن ما قيمة العمر دون أن يكون هناك حياة!

في الثانية عشرة من عمرها تحولت حياتها بالكامل، قرر أهم شخصين لديها أن يحولا حياتها إلى جحيم، حاولت ويشهد الله أن تترك هذه البلدة، ولكن جدتها لم تسمح لها، وكذلك صغر سنها وقف عقبة أمام رغبتها القوية في الهرب، فاستكانت للواقع، وعاشت تفاصيله.

في العشرين من عمرها ولم تعش قصة حب واحدة، لم يطلب شاب يدها ولو مزحا، لم تسمع عبارات الغزل من الرجال، لم تمشى تختال متباهية بجمالها الأنثوي الذي وهبته إياها الطبيعة، بل اختبأت، وتوارت، وانطفأت، ودعت الله أن تتحول لكائن غير مرئي، ولكنها لم تستطع حتى الآن أن تخفي الأنثى بداخلها.

في خيالها تعيش قصص الحب كما تريد، يكون لها حبيب يمطرها بكلمات الحب التي تتمناها، وهناك ترتدي الفستان الأبيض، وتلتقط الصور مع أصدقائها، وتشتري خاتم من الألماس، وتنظر لحضور زفافها بدلال متباهية بحبيب اختارها دون غيرها لجمالها الخارجي والداخلي.

في خيالها فقط تعيش جنسًا رائعًا، تعرف الأحضان والقُبلات وأعاصير العاطفة التي تأخذها في غياهبها فترتعش من النشوة، في خيالها فقط تكتمل الأحداث كما تريد، بينما يمنحها الواقع صفعة مدوية تطرحها أرضًا.

عيونها قادتها غدرًا إلى تلك الحقيبة المغلقة والمخبأة تحت سريرها منذ سنوات، بغضبها المكبوت سعت إليها لتفتحها وتنثر كل محتوياتها على الأرض، بينما سقطت عند قدميها الصور والجرائد والأوراق التي نسيت وجودها، كان ألبوم الصور هو أول ما وصلت إليه يدها، فألقت الحقيبة جانبًا وجلست تقلب محتوياته.

اللقطات طبيعية تماما، أناس يضحكون للكاميرا تلمع عيونهم كذبًا بينما ينظرون إلى بعضهم بحب لا تعرف له اسما، كانت اللوحة كاملة لا ينقصها شيء سوى الحقيقة، لم يعرف وقتها أحد أن هناك كارثة في طريقها للقدوم، لم يجرؤ أي شخص أن يصرخ فيهم لمنع رباطهم المدنس.

الدموع انهالت على وجنتيها وهي تنظر لصورة زفاف والديها، الكاذبان اللذان أنجباها، كانا سببًا في وجودها في الحياة لتعاني وترتشف جرعات الألم الناتج عن خطاياهم.

نظرت طويلا إلى الصورة تبكي أم تضحك؟

تدقق النظر أم تغمض عينيها؟

لا تحمل الصورة أي إشارة، كانت فقط تضم بين جنباتها الكذب والعصيان، ركزت بصرها عليها لعلها تجد نقطة دماء واحدة لم تر شيئًا، لم تر سوى امرأة ترتدي فستان الزفاف، جميلة... نعم، بل رائعة الجمال، تشبهها، تحمل نظرتها بريق

المرأة المغرورة التي تعرف كيف تقود من معها إلى الجحيم، وكان رفيقها لا ينتظر أن يريه أحد الطريق فقد عرفه بنفسه وأسرع إليه.

صفحات الجرائد كلها كانت تحمل الأخبار، فمنذ سنوات كانت الناس تقذف بالجرائد شرفات منزلهم، وكانت هي الطفلة الصغيرة تختبئ بين أحضان جدتها خوفًا، تلك المرأة التي لم تعرف حتى الآن إن كانت هي القشة التي أنقذتها أم أغرقتها.

كانت قد تجاوزت سن الطفولة قليلًا ولذلك لم تحتاج لأن تسأل كثيرا لتعرف حقيقة ما حدث، فالصحف أعطتها الإجابة السريعة بل ومنحتها كل التفاصيل الكاملة، رغم أنها في تلك الليلة لم تكن في المنزل مع والديها بل أخذتها جدتها معها لتؤنس وحشتها، وامتدت الليلة لتصبح أعوامًا طويلة، لم تصدق في بادئ الأمر ما حدث، ولكنها عندما كبرت عرفت،

فما حدث كان نتاج الصراع المستمر بين والدها ووالدتها، ما حدث كان متوقعا ولكنها لم تستطع هي او غيرها أن يمنعه.

مزقت الصور وهي تستمر في البكاء، لم تجسر في الماضي على تمزيقها، كان قلبها يحمل لهما بعض الحب، ولكنها فعلتها الآن، واصلت تمزيق كل ما وصلت إليه يديها دون تردد وهي تبكي وقلبها يتألم، لقد ضيعاها، لقد مزقا أحلامها الصغيرة وحولاها إلى كابوس دائم لا نهاية له دون أن ترتكب هذه الفتاة الصغيرة الطفلة أي ذنب يحسب عليها أو أي خطأ صغير حتى تعاقب عليه، لماذا؟! ماذا فعلت لهم؟ لماذا لا يرحمها الله من واقعها بموت سريع.

صوت جدتها قطع بكائها المنهمر، فأعادت كل شيء إلى مكانه، وأسرعت إليها خوفًا من أن يتم توبيخها مجددًا، فهي تعرف أن مزاجها يتغير دومًا كل يوم، بل كل ساعة، أسرعت إليها تسألها عما تريده، بينما سألتها الجدة ناظرة إليها: تبكين مجدداً؟

نظـرت إليهـا وهـي لا تصـدق، فهـي اعتـادت ألا تشـعر جـدتها بهـا، وألا تناقشـها عـن شـعورها، منـذ تلـك الليلـة لم تتحـدث كـل منهمـا إلى الأخـرى، وظلـت تسـأل نفسـها لسـنوات إن كانـت جـدتها تحبهـا أم تكرههـا، نظـرت إليهـا جـدتها مـرة أخـرى وأضافت: لا تبكي... كل شيء يمر.

اسـتطاعت جـدتها أن تنتـزع منهـا ابتسـامة صـغيرة، هـي حتمـا تحبهـا فهـي ابنـة نجلهـا الوحيـد، ولكنهـا بـلا شـك تكرههـا فهـي ابنة المرأة التي قتلته.

راعي الاحزان - خرايفية صندرة

تستلقين على الأرض فيعّم الحديقة صوت الحشائش وهي تنادي رائحتك... السّماء زرقاء تعكس ما بداخلك من أحلام وأمنيات و أطياف حبي الصغير لك تختلس النظر لملامح وجهك النقي... تركضين فوق قلبي بحذاء ذو كعب عالٍ؛ فتحدثين فيه ثقوبًا عزيزتي... إنّكِ لحقًا أهلكتني... وما باليّد حيلة ولا بالعقل تدبيرًا غير أن أرضى بك و بتعذيبكِ لي حلاً وحيدًا... فحتى الأعمى لحبي صار بصيرًا... ربما تتظاهرين بعدم الاستيعاب... تمنحين شخصك ميزة الغباء... كيف لا و أنا من يردد في كل يوم وفي كل لحظة وداع كلمة "أحبك إلى اللقاء" ؟ أم أنّك صماء؟ أتتجاهلين امتناعي عن الأخريات و المضيّ نحوك أم حقًا تجهلين ذلك؟

وقعت في حبّك... لا، لن أستخدم هذه اللفظ... أفضل التحليق في حبّك... فمنذ أن تسارعت دقات قلبي لتنبض

بإسمك وتعيش على صوتك وأنا عائم في سماء عيناك الخضراوتان... أُبحلق فيهما تارة وأمعن النظر في ملامحك تارة أخرى لعليّ أحفظ تفاصيل وجهك ومسامات أصابعك لأرسم لوحة المكيدة بألوان ضحكاتك... كيف لملاك مثلك أن يكون شريرًا لهذا الحد من الخداع اندرا؟! و اسمك يعكس اسمي وكأنك لي مرآة... أراني فيكِ في بريق عيناك في قهقهاتك و حتى ارتجاف أصابعك لما تقبلين على احتساء القهوة.

الذكريات تهرم و نحن سويًا نكبر و يزداد عشقي لك ويكبر معنا عذابي اتجاه افعالك... تذنبين بحق براءة أقوالي ثم تحكمين على قلبي الصدئ بالمؤبد داخل خصلات شعرك المتموجة الوهاجة... إنّي أحترق صغيرتي بنار لامبالاتك... أطفئي لهيبي بإخماد تكبرك وتغيير بعض صفاتك... كالتعالي مثلاً... فلم ارَ يومًا شمسًا تبخل بنورها على كوكب كما بخلتِ عليّ بجناتِ كلماتك...

ربما تقسين عليّ ببلاهتك هذه لأنّي مجرد راعٍ تتنافى مبادئه مع قواعدك الملكية... بالرغم من أنّك تشاركينني ملامحي من أكبرها لأصغرها إلا أنّنا مختلفان جدًا... لا أجد فيك طريقتي الهمجية في تناول الوجبات الدسمة السريعة ولا أجد فيّ تناسق الثياب والألوان كما تفعلين.. كلّ هذه التفاوتات لم تُخلق جراء نفسها... بل وجدت لسبب واحد لا غير... العنصرية عزيزتي... منذ أن كنت صغيرًا وأنا على ألحان الوحدة أعزف مقطوعة حياتي المهترئة... لم أجد من يعلمني اللباقة ولا كيفية التعامل مع الآنسات... لم أجد غير أبي الذي علمني حرث الاراضي وزرع المشقة فيها لتنبت ثمارًا أهديها للاغنياء أمثالك... لم أعرف يومًا ما هو الحكيم هذا وكيف شكله! فتوعكات أمّي كانت تعالج ببعض الأعشاب تسكن ألامها لكنها لا تردع المرض وهو يطفو داخلها... ألهذا السبب تتجاهلينني؟

ربما نحن مختلفان ولا يصح قول "نحن" إن لم يكن أحدنا ينتمي إلى الآخر... لكننا واحد! كيف لا، وإن نظرت لك أجدني فيك متأصلاً بتفاصيلي عدا أنّك فتاة؟! يصعب القول أنّنا سنجتمع يومًا ما... توحدنا يحدث خللاً، لا أدري ربما علامة من علامات الفناء.

أنا وأنت مسألة يصعب حلّها... لطالما درست على ضوء الشمع خلسة لأنّ الفقراء من حق التعلم مجردون!

لا تزال تلك السطور تقبع في ذهني وترتسم كلماتها بحبر قلبي المفطور كعود الزيتون... آه محيطي يأثر على ما أنطق به وهذا يزيد الأسلوب ركاكة آنستي.

"لا تحاول العبث مع أميرة و أنت راعي أبقار" هكذا جسد الكاتب معاناتي بسطر واحد بسيط المعنى معقد التركيب للمخذولون مثلي.

عزيزتي...

لم تخذليني يومًا... أنا من فعلت بي ذلك لأنّني أوهمت عقلي ليخضع لمثل هكذا أمر... المعذرة إن أطلت الحديث ولم تجدي في عباراتي شيئًا يروقك... وعد مني يا فتاة هذا الراعي سيعود حاملاً قلم الخيبة والمعاناة وسترون جميعًا أن الفقر ليس عيب.. أن الفقير بشر من لحم ودم.. أنكم أنتم المذنبون بحق أنفسكم... ستدركون ذلك حين يتردد إسمي بين المعالم والمكتبات والجرائد... ستعلمين أن خسارتي مصيبةٌ غروركِ فاعلها لكن الندم لا ينفع متأخرًا.. أبدًا لن يفعل.

حاولت البقاء لكني لم أجد مسكنًا لي داخلك!

اليوم المنشود

أطال موعد الفراق وحان اللقاء أخيرًا... هذه المرة أنا من سيحكي أحجية اللُقيا، فلا بدّ أنّ مذكرات ألفريد شكلت داخل عقلك حلقات الحادثة التي تخللتها بعض الثغرات

كحلقات مفقودة... أنا توأم أندرا الخفيّ سأحكي ما لم يكتشفه أحد من قبل.

ككلّ الأسر الملكية العريقة لها أسرار بقدر ما لها من ثروات وقصور... كنت أنا أحد هذه الأسرار... تخلت عني توأمي عند الولادة فقد خلقنا مصحوبتان بتشوه.. خلقنا متلصقتين.. وبالنسبة للأميرات مثلي فعار أن اكون متشوهة أو قبيحة. فالأميرات فاتنات لا محالة.

جلب جلالة الملك والدي أكثر الأطباء حكمة في وقت لم تكن فيه عمليات تجميل ولا حلاً لتفريقنا... أتى اليوم المشؤوم مصحوبًا بالحل الذي سيبقي كلينا حيًّا... إحدانا مشوهة والإخرى فاتنة جذابة... وافق والدي بأنانية دون سابق تفكير كأنّي لم أكن جزءًا منه أو أحمل دماه ونسبه... جرت العملية بنجاح..، و كما قلت تشوهت أنا على الجانب الأيسر من جسدي... أمّا أندرا فلم يصيبها أيّ مكروه... بلغت عقارب

العمر السادسة... نالت فيها أندرا كل ما تشتهيه ونلت أنا الوحدة والعزلة.

في أحد أيّام الربيع الزاهية رأيت طفلاً يكبرني بسنتان... اقترب مني خائفًا "إلهي هل أنت وهم أم أنّكِ حقًا الأميرة... كيف كان اسمها نسيت... إنّه أن..." هكذا أردف الفتى قائلاً:

– أندرا هكذا كان اسمها.

– أنت اذًا، أرجوك اعذريني أميرتي! اثنى الولد جالسًا على ركبتيه.

– لا، ليس لهذه الدرجة... ادعى أندرا و أنا متواضعة.

لم أستطع إخباره بالحقيقة خوفًا مما سيفعله بي والدي إن علم ذلك... استمر لقاؤنا لأيّام وأشهر خلف الباحة المجاورة للأرض الفلاحية التي امتلكها والده المزارع البسيط... كان يرعى ألفريدو –كما أناديه– الغنم و يصطحبني معه لنرمح معًا طيلة اليوم... أخبرته أنّ تشوهي ليس له علاج.

– غـاليتي أنـت جميلـة بطبعـك... تشـوهك طفيـف... لسـت أجاملـك لكـني أحبـك هكـذا ولا أريـدك دون تشـوه... لا أريـد أن تكتمل ملامحك فتخطفين للقمر محله فتتغيرين!

– أنـت مـن تقـول هـذا؟ أعلـم لا أحـد يعـرفني كمـا تعـرفني أنـت... وأنـت مـدرك حتمًـا أنّي لسـت مـن تتغـير... أحبـك أيضًا..

احـترت مـا ان كـان ألفريـد يحبـني أم يحـبّ شـقيقتي التـوأم.. مـرت سـنوات لم يلحـظ أحـد ابتسـامتي الـتي يزيـد حجمهـا يومًـا عـن يـوم... لم يـزعجني ألفريـدو يومًـا ولم اسـتطع التفـرغ لـه طيلـة النهـار... فأنـا غالبًـا محتجـزة بـين جـدران غـرفتي... أنهـي واجبـاتي السـريّة وأمنحهـا لـه كـي يـتعلم كـون التعلـيم جريمـة يعاقـب عليهـا الفقـراء... مـيس كـلارا – المسـؤولة عـن متـابعتي– علمـت هـي الاخـرى بالسـر الـذي أخفيتـه عـن الجميـع و أخـبرت والـدي لتتحصـل علـى ترقيـة... عمـى المـدح أبصـارها... خانـت ثقـتي بهـا... يـالا غبـائي أنـا مـن أخبرهـا! لم يلبـث حـتى أمـرني والـدي

بالابتعاد عنه وأنّ أطلب منه ألاّ يقابلني مجددًا فستتم خطبتي لإبن عمي "ميغيل" (هذا ما كانت مقبلة عليه أندرا الحقيقية).

رفضت ذلك فقد أحببته بحق وأوهمته المسكين أنيّ لن أتركه... والدي كعادته لم يأبه لقلبي المتورم من شدة الصراخ ليلاً.

وعدت أبي أنني سأفعل... وأرسلت برسالة إلى ألفريدو كانت كالتالي :

"من أندرا الى ألفريدو...

تعال إلى المكان المعتاد ليلاً ستجدني هناك لدي الكثير لأخبرك عنه... سرّ قد تسر لسماعه أو العكس.

غاليتك أوليف (اسمي الحقيقي).

أظنه استغرب من الاسم و من الرسالة أيضًا... ثقتي به منحتني شجاعة... علمت أنّه لن يخيبني... سيأتي.

انتظـرت حـتى بلـغ النهـار منتهـاه، أسـدل الليـل عباءتـه علـى الارجـاء... فتحـت النافـذة لأنفـذ منهـا خارجًـا، سـرعان مـا لمحـت يـدًا غليظـة تصـفعني كفًـا زادني وهنًـا وعزيمـة لأهـرب للاعـودة! إنّـه السـير كـالفين جـاء ليصـطحبني خـارج البلـدة بـأمرٍ مـن الملـك... جاء في الوقت الغير المناسب.

و لم تأتِ.

إنتظرتهـا طـوال الليلـة المظلمـة... بـزغ فجـر جديـد لكنّهـا خـانتني.. في موعد منسيّ أسرتني... ولم تأتِ.

علمـــت أنّ بهـــا أمـــرًا... أنّ أوليـــف أو أنـــدرا لا أدري! خلـــف رسالتها المبعوثة سرًّا أخطر مما لمحت له بكلماتها.

حملـت أمنيـة لُقياهـا علـى عـاتقي وذهبـت خلـف الباحـة المجـاورة لمزرعتنـا الصـغيرة... انتظرتهـا هنـاك... بعـد العصـر بمسـافات زمانيـة ليسـت بالبعيـدة –خمـس عشـر يومًـا– أتـت أنـدرا تطـرق بـابي وبهـا تغـير هائـل... أجـرت عمليـة تجميـل... أخبرتـني أنّ

الرسالة مبعوثة من أوليف وصيفتها التي لم تخبرني بشأنها يومًا... ثم أردفت :

– اسمع ألفريد... غيرت ملامحي و تغيرتُ معها و تغير مكانك داخلي كذلك! ستتم خطبتي لإبن عمي "ميغيل".

– كيف؟ ألم...قاطعتني

– قلت ما لديّ وانتهى

الآن يتوجب عليّ الرحيل... و انسى ما حدث بيننا.

تعجبت لأمرها... فقد زعمت أنّها لن تتغير... زعمت حبّها لي... كذبة ! كل ما جرى بيننا كان مجرد كذبة؟! قدمت لها قلبي كتسلية ولم أنتبه للحقد يحتل عيناها.

حينها أقسمت أن أدرس و أجتهد... أن أحارب الاغنياء وأنال منها على طريقة الحبر بالمدون في كتب الأحزان والخداع.

تأنيب خاطر!

ارتكبت خطأ جسيمًا... علقت به الآن... يستحيل أن يغفر لي ولو تبت عائدةً إلى الله! اذنبت بحق توأمي

و الفتى المسكين... يا ليتني أخبرته الحقيقة و لو سرًا.

أعلم أنّ الندم لا ينفع متأخرًا... لهذا قررت كتابة مدونتي هذه لأخبر الجميع بما فعلاه الخوف من الفضيحة والأنانية في شخصان بريئان... عاقب والدي شقيقتي بالنفي إلى خارج المملكة... إلى باريس تحديدًا... أبعدها عن أنظار الكلّ... وأكملت حياتها حبيسة البيت والثانوية هناك... بإسم مستعار وحياة مختلفة... حيث استمر "ريفولد" بمراقبتها كونه زوجًا لها على الورق... لم تنل فرصة للبقاء وحدها ولو لثانية حتى تبعث بالحقيقة إلى "ألفريد" ذاك.

بسلطتي و اسمي السياسي استطعت تدبير اجتماع مزيف لي لخداع والدي... أمّا "ميغيل" فقد ساعدني في البحث عن

"ألفريد" وتدبير سفرة سريّةٍ لي إلى باريس فور إدراكه للقصة كاملة.

حزمت أمتعتي وذهبت إلى حيث تقطن "أوليف". طرقت الباب بدقات متثاقلة... خفت ردة فعلها... خفت المزعوم زوجها... فتحت الباب، لم يبدّ على ملامحها أي دهشة أو نظرة استغراب... أدخلتني إلى البيت مراقبة الممر يمينًا عن شمال... أخالها تهاب أن يلمحنا زوجها.

- لم أتيتِ بعد كل الخراب الذي سببته؟!

- اصغي! أتيت إلى هنا سرًّا... والدي لا يعلم.

- تمزحين... هاهاهاها ماذا قلتِ؟ جئت لتتخلصي مني مثلاً؟ ما الذي أتى بك.. إن رآك زوجي س...

- ليس زوجك.. لم تحبيه يومًا.

- احسستِ بهذا ولم تشعرِ يومًا بضياعي؟

– دعكِ من ما فات وحدث.. أتيت لإصطحابك فورًا.

– إلى أين ؟

– كفاك أسئلة... هيّا!

لم نلبث حتى غادرنا المكان... إلى "كندا"... دبّر زوجي اختطاف "ريفولد" و احتجزه بعيدًا... كي لا ينفذ خبر هروب أختي إلى أبي.

فور وصولنا مكثنا في أحد غرف الفنادق الكلاسيكية البسيطة... كي لا نصطدم بأيّ من الشخصيات المهمة... و في اليوم الموالي ذهبنا لشقة "ألفريد" آملتان العثور عليه حسب العنوان الذي جاء من عند مصادر مملكة "إنجلترا" الموثوقة.

مفاجأة غير متوقعة

توجهت أنا و أوليف إلى منزل "ألفريد" اين إلتحق بنا زوجي "ميغيل".. طرقت أندرا الباب لأنّي لم أتملك نفسي كدت أفقد

وعيي من شدّة الارتباك الذي لم أشعر به منذ عشرِ سنوات... فتح الباب فتى صغير.

– أهلا صغيري! ألفريدو هنا ؟ تساءل "ميغيل".

– ما من "ألفريد" عندنا... ثم اغلق الباب بأسلوب همجي ينافي قواعدنا المعتادة.

فقدتْ توأمي الأمل.. فراحت تبرح عتبة المنزل بخطوات متثاقلة كأنّها تخبرني (أنتِ السبب... جديه لي)، لوهلة عاد حبل الأمل بالترابط مجددًا لحظة سماع "أندرا".. لأوّل مرة أرى "أوليف" تلتفت لسماع اسمي!

– من منكما "أندرا" ؟ اردف الرّجل.

لسوء الحظ لم يكن الرّجل "ألفريد" نفسه.

لحظة وداع.

أخيرًا علمت أنّ "ألفريدو" غادر عالمنا الغادر! أكمل دراسته وصار كاتبًا! وفق في سبيله الأدبي توفيقًا يستحقه عن جدارة... من بين رواياته كتب عن خذلاني له... أو بالأحرى كتب عن ما رآه من منظوره (الجزء الأوّل من القصة).

فالخلاص لروحك البريئة... أحبّك!

غاليتك أوليف

النهاية

مات "ألفريد" و الحقيقة مبهمة داخله... و ظلّ سيف الندم يقطع "أندرا" طوال حياتها... توفيّ حاكم إنجلترا الأنانيّ و نالت "أوليف" حريّتها... فقررت العيش بالقرب من منزل حبيب الطفولة في الباحة المجاورة... و هكذا لم يحظَ أحدًا بالنهاية السعيدة كما في باقي الروايات.

رصاصة في ضيافة الياسمين - مريم طلوس

في إحدى صباحات الحرب التي لا تجيد شمسها الشروق، على أرض أُصر دائما على أن أتناسى اسمها؛ لأنه جرح أعمق من أن يستحضره قلم كاتب أو لسان قاص، تجلس أنثى شرقية الملامح، سواد عينيها من سواد الدخان المتكاثف في السماء كأنه غيم ماطر ينبئ بطوفان، شعرها الطويل مشتت الخصلات ينتظر ضفيرة تلم شمل المتحابين، تجلس مستندة إلى حائط أو إلى بقايا حائط، تحتضن بأناملها شيئًا مما تركته الحرب، صورة لأهلها لم تفارقها طوال السنة بعد رحيلهم، تحرك شفتيها ببطء شديد وبعينين ماطرتين مخاطبة الوجوه الباسمة في الصورة قائلة: ساء حظي ليلتها ولم أكن معكم. ضمت الصورة إلى صدرها، تجولت بنظرة بين تفاصيل الركام من حولها و كأنها النظرة الأولى، ثم تساءلت: أيعقل أن تكون للمدن نهاية كما للبشر؟

نهاية البشر موت ونهاية المدن ميلاد جديد... هكذا علمتني الحرب... ألم تعلمك بعد يا ياسمين؟

أنهى ثائر كلامه، دون أن تقاطع ياسمين جولتها البصرية في الأرجاء و كأنها لم تقتنع بإجابته تلك، وتبحث عن أخرى أكثر عمقًا بين الركام.

ثائر شاب في العشرينيات من عمره، لا يكبر ياسمين إلا بسنتين، تعرفت عليه في الجامعة حيث كانا الاثنين طالبين في نفس الشعبة، ليصبحا بعد ذلك صديقين لا يفترقا إلا بعد أن تعلن الشمس عن نهاية النهار؛ ليلتحق كل منهما ببيت أهله، كان ذلك قبل أن يدمر بيت ياسمين و قبل أن تودع أهلها إلى الأبد.

صاح ثائر قائلا: أمي تناديك... الغداء جاهز

التفتت ببطء نحوه وهو الواقف خلفها، نظرت نظرة انكسار ثم قامت من على الأرض ممسكة بيده، تركا المكان في اتجاه البيت

علـى أمـل منـه بـأن لا يضـطر مـرة أخـرى لأن يعـود إلى ذاك المكـان الـذي يحمـل كـل ملامـح الحـرب العنيفـة، متعقبـا خطـى ياسمين.

وصـلا إلى البيـت الـذي لم يكـن بعيـدًا عـن ذلـك المكـان الـذي ترتـاده يـاسمين مـن حـين إلى حـين، حيـث كـان بيـت أهلهـا قائمًـا، وحيـث عاشـت كـل فصـول طفولتهـا وشـيئًا مـن الشـباب، قبـل أن يعصـف بهـم إعصـار الحـرب في شـتاء حـاد الـبرودة، دخـلا... توجـه ثـائر إلى مائـدة الطعـام مباشـرة، في حـين دخلـت يـاسمين إلى الحمـام، لملمـت شـعرها، غسـلت يـديها ثم وجههـا وهـي تحـاول أن تخفـي ملامـح آخـر لوحـة رسمهـا الـدمع علـى الـوجنتين، ومـددت الشفتين، لتتصنع ابتسامة تقابل بها أهل البيت.

إلتحقت أخيرا بمجمع العائلة التي رحبت بها كأنها فرد منها.

أبـو ثـائر حـاول جاهـدا أن يكـون في مقـام أبيهـا وأن يخفـف عليهـا ألم الفـراق، أم ثـائر أفاضـت عليهـا مشـاعر الحـب والحنـان

كما لو أنها ابنة شاء القدر أن يهديها إياها دون تسعة أشهر من الحمل ولا مخاض الولادة، أما أخت ثائر الصغرى فتحبها كثيرا.

مابك لا تأكلين؟

وجهت أم ثائر سؤالها إلى ياسمين، فالتفتت هي الأخرى نحوها مبتسمة، فإذا بها تلمح الحقائب مصطفة في ركن الغرفة، لتختفي الابتسامة الزائفة فجأة... ثبتت نظرها في الركن، فنطقت أم ثائر موضحة:

– كل شيء أصبح جاهزا... أيام ونشد الرحال إلى تركيا.

– بهذه السرعة نفذ القرار... ردت ياسمين بصوت مرتعش.

ليبادر ثائر بالكلمة هو أيضا قائلا:

– لما الدهشة! الكل يعرف أن لا حياة هنا وسيأتي يوم ونرحل غصبًا عنا.

لم ترد عليه ياسمين، لكنها عاتبت أمه قائلة:

– كان عليك أن تخبريني كنت على الأقل ساعدتك في تجهيز الحقائب.

توقف الجميع عن الأكل، وقبل أن تنهي ياسمين كلامها، قام الأب و نظراتهم تتعقبه وهو خارج إلى حديقة المنزل، حيث آخر ياسمينة تصرخ النجدة، عانقها بدمعة يأس، وبأمل المغتربين على أرض الوطن، وبوعد تلح عليه النجمات في كل ليلة أن يحققه... قال والذكريات تعصف بذهنه وهو في أقصى حالات الحزن وأقساها: سنعود يوما... سنعود.

مر أسبوع، و أفراد الأسرة منغمسون في تجهيزات السفر، كان الأسبوع كافيًا لكل منهم، الأم حددت الأغراض اللازمة بمساعدة ابنها، الأب تكلف بالإجراءات القانونية للسفر، الصغيرة ودعت صديقاتها ومعلماتها في الفصل... أما ياسمين فلم يكن ليكفيها الأسبوع ولا الشهر ولا السنة لتقنع نفسها

بالسفر، كانت منهمكة في الذكريات، لحظات الفرح مع أهلها الراحلون، ضحكات صديقاتها في أرجاء غرفتها، قصص حبهن، قصة حبها، فنجانها الصباحي في الجامعة... تحاول تجاهل كل ذلك، تبتسم رغم الألم، تساير من حلوا محل أهلها في كل قراراتهم و تدعي اقتناعها بالسفر.

آن أوان المغادرة، شمس اليوم المحدد أشرقت، والجميع على أهبة الخروج من البيت، و كل يحاول إخفاء دمعاته، ياسمين استأذنت بزيارة أخيرة إلى أرضها لتودع آخر معالم البيت الذي احتضنها وأهلها لسنوات، خرجت و بمرورها على حديقة المنزل قطفت من الياسمين ما يملأ كفها، استنشقت عطره بعمق، ثم تابعت المسير إلى أن وصلت، استندت من جديد إلى بقايا حائط، ولا زال الركام هو الركام، تبكي بحرقة لترسم الدموع لوحة حزن أخرى على ملامحها الشرقية، تبكي بشدة حتى أوقفتها أصوات القذائف في كل مكان ورقصات الرصاص الطائش كنوارس أعلى سطح البحر تبرم اتفاقيات كيف تقسم

الصيد بينها... ها هي رصاصة تخترق أحشاءها، رصاصة تمزق شريانا، تمزق وريدا، تروي من الدم ظمأها، تنهش بقايا الحياة في جسدها النحيل، تضع النهاية لآخر فصول الحزن القابع في أعماقها، تطرحها أرضا، ترخي كفها، تتناثر وريقات الياسمين في الجو الملوث، يعلن الموت انتصاره، يقهقه بأعلى أصواته و يقول ساخرا : شكرا... شكرا على وريقات الياسمين.

عزيزتي عائشة ـ ايمان مصطفي

طرقت فتاه صغيرة السن باب منزل فخم قديم للغاية، ولكنه قاطن في مكان بعيد هاديء وبعد ثواني لم تتلقي أي استجابة فألقت جواباً تحت عقب الباب تركته وهو مستلقي في مدخل المنزل وذهبت، وبعد فترة طويلة وضعت امرأه في السابعة وعشرين من عمرها المفتاح في باب منزلها الفاخر، فدخلت هي وابنتيها، دلفت وألقت بالطو أبيض على طرف الأريكه، عادت تمر بجانب الباب حتي لمحت شيئاً آثار انتباها، فاقتربت منه ووجدت ظرفاً، إلتقطته وعادت تجلس على الأريكه، في الحين دخلت كل من الفتاتان غرفتهما، فتحت أمهما الظرف فوجدت بداخله ورقة بها ملحوظة وجواب قديم الهيئة، قرأت الملحوظة أولا وكانت (السلام عليكم أنا إبنة المرأة التي ظلت تخدمك منذ نعومة أظافرك، ولكنها منذ عدة أشهر تعبت، أدخلناها المستشفى ولكن قال لي الطبيب بأن أيامها معدودة،

فأخذتها الي مسقط رأسها الاسكندرية وقبل وفاتها أعطتني هذا الجواب وهو أمانة كان معها أكثر من عشرين عاما، ووعدتها بأن أسلمه لكِ بعد وفاتها، وفي الأمس توفت أمي وكان علي بأن أفي بوعدي...أتمني لكِ الخير كله)

ترقرقت الدموع في عينيها ووجهت نظرها إلى الجواب، فقد كان أثر السنوات ظاهرعليه، فتحته وهي غير مكترثه بالذي سيصيبها بعدما تقرأه.

كنت طفلة صغيرة بريئة خرجت في بيئة فقيرة للغاية، جاهلة بأن الفقر شيء سيء، كنت وأخواتي الخمسة نعيش بداخل غرفة واحدة نأكل الفتات من الخبز والقليل من الطعام، شعور صادم عندما يسمع طفل صغير علاقة الوالدين ليلاً وهو غير مدرك ما هذا؟

كنت أشاهد الفتيات وهن عائدات من المدرسة... كم تمنيت بأن أذهب معهن ولو لمرة واحدة، دوما أسمع حديثهم عن

الحصص واللعب في الفناء والطابور، كانت أمي تضربني بشدة كلما فعلت شيئاً، لم أشعر يوماً بحبها لي وكذلك أبي الذي دائما ما كان منشغلاً في عمله، فقد كان يعمل في أحد المصانع كعامل نظافة، حقا كنت أكره سلوكه ونظراته الخبيثة لهؤلاء النسوة الزائرات لمنزلنا.

كبرت وأصبح عمري خمسة عشر عامًا تعودت على سماع الكلمات البذيئة من صديقات أمي، تعرفت على بعض الأصدقاء وكانت واحدة منهم مقربة إلي، دائما ما كانت تلح علي حتى أذهب معها إلى الشارع الخلفي، ومن كثرة إلحاحها ذهبت معها مرة وبعدها إنقلبت حياتي رأسا علي عقب، إنصدمت من الذي يحدث هناك، فقدت وجدت مجموعة من الفتية كانوا أكبر من أعمارنا بثلاثة سنوات تقريبًا، كان الشارع الخلفي هادئاً وليس به سكان، فكان ملاذًا للعاشقين المراهقين، بعدما وصلنا وجدت صديقتي اتجهت نحو مجموعة الشباب كانت تشير إلي، وبعدها بثواني إقترب مني شاب

طويل، كنت أراه دوما من بعيد وهو يسوق توكتوك ذو موسيقى صاخبة، مسك يدي وظل يلامس وجهي بيده الأخري، أنزل يده ببطء إلي عنقي وباقي جسدي حتي أقترب من صدري وإذا بي انتفضت من حالة السحر المغناطيسي الذي فرضه علي، فابتعدت عنه وصفعته علي وجهه، وأسرعت بالهرب من هذا المكان القذر الذي يفوح منه رائحة مشينة.

أصابني زعر شديد ظل جسدي يرتعش وبعد عدة أيام قابلتها وعاتبتها بشده قلت لها لن أذهب معكِ ثانياً... ولكنها كشفت لي عن أنيابها الغادره وقالت لي بأسلوب يخالطه التهديد: إن لم أذهب معها فإنها ستفضح أمري لديهم، ستخبر أبي وأخواتي.

توترت وخشيت من ضربهم لي، فذهبت معها وأنا مجبرة ولكني لم أعلم بالذي سيحدث لي هناك، وصلنا إلى الشارع وجدت الصبية وبينهم هذا الذي صفعته وجدته، كان ينظر إلي نظرات غاضبة فغمز لصديقتي، اقتربت مني ورشت علي وجهي سائل

ذو رائحة نفاذه، شعرت به وهو يخترق أنفي وينتشر بداخلي، أصبحت الرؤية تتراقص أمامي، وجدت الفتي آت وعلى وجهه ضحكة مليئه بالإنتصار، ظلت رأسي تذهب هنا وهناك حتى وقعت مغشياً علي.

وبعد وقت لم أعلم كم مدته ولكني أعتقد أنه طويل استيقظت ووجدت نفسي في سرير شبه عارية، لم أجد أحداً معي، أصابني فزع وصدمه ظللت أصرخ وأبكي، بحثت عن أحد ولم أجد، إرتديت ملابسي وخرجت من المنزل، ظللت أمشي في الشوارع إلى غير هدى حتى حل المساء، لم أعلم أين أنا بداخل محافظتي أسيوط، فلم أبتعد عن محيط منزلي يوما، بكيت بحرقه على قارعة الطريق فقد تم اغتصابي... تلك الصحبة السيئة أفسدت حياتي، لم أعلم إلى أين أتجه؟ هل أعود إلى أهلي إلى أبي وأخواتي؟ ولكنهم سوف يقتلوني، سرت حتى وجدت نفسي أمام محطة القطار وقفت أمام القطار المتجه نحو القاهرة... ترددت قليلاً كنت خائفة من

السفر بعيدًا؛ فأنا لا أعلم ماذا تخبيء لي هذه الأماكن المجهولة، ولكن لم يعد لي أحد هنا، فوجدت الهرب هو الحل، حتمًا سيعلم أهلي بالذي حدث معي، صعدت القطار تاركة ورائي مكاني الصغير الملوث، والذي لطالما لم أرغب بأن أنتمي إليه، كنت أتمنى حياة غير التي عشتها، لطالما كنت أرغب بحب والدين واهتمامهم... بتعليم جيد وحياة محترمة، بأحد يقول لي الحرام والعيب... لا أن أجدهم منحرفين ويتجسدوا في هيئة الرذائل.

جلست علي أطراف القطار وتفكيري محلق بعيدًا، أفكر في حياتي والذي حدث بها، كنت أقول إلى أين أذهب؟ وما الذي سأفعله هناك في القاهره؟

حتي جاء مفتش التذاكر وقطع حبل أفكاري قائلا: التذاكر

لم يكن معي نقود ولا أي شيء، فقلت له بصوت مرتجف ليس معي

صرخ علي وظل يهددني بأنه سينزلني من القطار، جذب صراخه انتباه رجل وسيم في أوائل الثلاثين من عمره، قال وهو يهدأ من روع المفتش بأنه سيدفع لي ثمن التذكرة، وبعدما ذهب المفتش جاء وجلس بجانبي حتى يوقف إسقاط دموعي التي أخذت تنهمر كالشلالات، حدثني بصوت منخفض من أين أنتِ وأين ستنزلين؟

قصصت عليه قصتي البائسة فظهر عليه الحزن وقال لي بأنه سيساعدني، عرض علي الذهاب إلى قريته في المنصورة لزيارة أهله، ترددت وبعد فترة وافقت، فقد أصبحت أخشى الجميع وبالذات الرجال، وبالفعل ذهبت معه... كم كان رجلاً مهذبا يخاف الله لم يرفع عينيه إلي قط، كان يعاملني بكامل الأدب، وفي الطريق شعرت بشيء بداخل قلبي تجاهه، أخذني الحلم بعيدا حتى استيقظت منه وأنا واقعه في غرامة، قلت بداخلي كم أتمني بأن يحبني ويتزوجني وأعيش معه في قريته وبعدها سأصبح خادمة له طوال حياتي، فأنا الآن فتاه ذات ماضي

مشوه ومستقبل غامض مليء بالمخاطر، فهو ملاذي الوحيد، وصلنا إلى بيته كان والده عمدة القرية، من أشراف القرية وعالية قومهم، هو كان يعمل محاسباً في القاهره وجاء لزيارة أهله وكذلك لخطبة فتاة إختارها أهله لجمالها ونسبها وأدبها وكذلك مال أهلها، صعقوا جميعاً عندما شاهدوني معه، قص عليهم قصتي الحزينة، تعاطفوا معي وأسكبوا علي حنانهم، قال لهم بأنه سيأخدني معه إلى القاهرة ويبحث لي عن مكان آمن ويساعدني هناك عند عودته.

ظللت هناك عندهم لمدة شهرين وخلالهم كان نظري معلق عليه دائمًا، أرى تعاملاته مع الجميع، وفي إحدى المرات أخذني معه إلى مزرعتهم والزراعات حولها، لم يعد قلبي يستطيع الصمت أكثر حتى عبرت له عن حبي وتعلقي به، قلت له أريد العيش معك هنا، أخذت أبكي وأترجاه وأقول له سأعيش خادمة طوال حياتي لك، لا أريد الذهاب من هنا، فأنا وجدت حبّا من أهلك لم أجده وسط عائلتي.

صمت ولم يرد كان يفكر في كلامي وبعد فترة تكلم، وقال بأنه معجب بي حتي بعدما عرفه عني... قال أنتِ ضحية مجتمع، تحدث بكلمات لم أدركها... كلمات كانت كبيرة علي ولكنه صدمني بأنه سيتم خطبته لفتاة من القرية، أصررت عليه وقلت له بأن يتحدث مع أهله بشأني، قال إنه يعلم جيدا بأنهم سيرفضون ولكني تحمست وقلت له سوف أحدثهم، كنت أصارع وكأني في حرب من أجل بقائي في عالم كهذا.

فقد وجدتهم أشخاصًا صالحين يؤدُون الصلاة، قالوا لي توبي وصلي وادعي، فأنتِ ضحية، صلي وتعبدي، وكانت المرة الأولى التي أجد فيها أحداً يقول لي صلي واعرفي ربك.

أحببتهم وأحببت ابنهم... أردت الحلال والزواج به، ولكنهم صدموني عندما واجهوني بحقيقتي المرة، قالوا لي أنتِ مرفوضة غير صالحه للزواج... أنت وصمة عار على جبين كل من يعرفك، طردوني من القرية ولعناتهم تزفني، تجمعت الدموع في عيوني، تساءلت وقلت لماذا تعاقبوني؟ وأنا لست مخطئه، وأنا

ضحية كما قلتم، لما لا تحاكموا الذي أجرم في حقي؟ الذي سلبني عذريتي بل وأيضا الذي تسبب في مجيئي لهذا العالم القذر ولم يعتني بي لمجرد أني فتاة.

إذهبوا واسألوا الوالدين الذين ينجبان بلا وعي وإدراك بأن هذا الطفل ما هو إلا مسؤولية عظيمه... له احتياجات خاصة للرعاية والحنان والاهتمام ليس فقط الضرب والقسوة والخوف الذي يحصل عليه.

توجهت إلى القاهرة وبداخلي رغبه في الانتقام من أي شخص، أردت بأن أصارع قدري بل أغيره تماما وأثور عليه... لا أريد أن أكون ضعيفة، أدركت بأني فقدت كل شيء؛ أهلي عذريتي وحتي حبي، لم يعد لي أي شيء أبكي عليه، قلت بإصرار أريد أن أكون قوية ولا يستطيع أحد هزيمتي، حتى أعود وأنتقم ممن ظلموني، وبعدما وصلت القاهرة وجدت نفسي سائرة بجوار كباريه، دخلت فيه وعملت بداخله، فعلت كل ما كان يقال لي مقابل المال... المزيد من المال، تلك القوة التي

أريد أن أتسلح بها حتى أحطم أي شيء أمامي، ومن أجله كشفت عن جسدي أمام الرجال، تعلمت كل شيء بذيئ وأصبح الفجور طريقي، وبعد 7 أعوام وجدت شخصا ذو نفوذ يقول لي: كم أنتِ جميله لما لا تمثلين

وجدته يعرض علي فرصة عمري، كان يريدني أن أكون بطلة لفيلمه القادم، حيث لطالما كنت أريد أن أدخل عالم السينما والتلفزيون... ذلك العالم الذي كنت أرغب في دخوله منذ نعومة أظافري، كنت أريد أن أخرج من واقعي الموحل... أريد الانتماء لعوالم أخرى، أتخفى بداخلها بعيدًا عن واقعي حتى وإن كانت كالمسكنات قصيرة الأجل فقبلت بدون تفكير.

وفي طريقي للنجوميه أقمت علاقات عدة، أصبحت شخصية انتهازية، أدركت بأن العالم هكذا يدار، لعبت أول دور وكان لفتاة ليل، لم أرغب في هذا الدور الذي دائماً ما كان يذكرني بنفسي ومأساتي، كنت أتعرى وأفعل مثلما يقال لي، أدركت بأنه مجال قليلا ما تحكمه الموهبة، لم أتوقع ردة فعل الجمهور

التي كانت معجبة بالفيلم، أدركت بأن أي شيء إذا كان بداخل عالم السينما يلقى النجاح حتى ولو كان عمل بذئ تافه.

مرت السنوات وأنا أتأقلم مع وضعي الجديد، فقد أصبحت مشهورة ولي جمهور، توالت الأعمال علي، وأصبحت أؤدي أدوارا جيدة لها قيمة وأكثر تأثير إيجابي، أدوار تعمل على توعية الناس وخاصة الفتيات، إنطفأت رغبات الإنتقام بداخلي وتحولت لرغبة في المساعدة خاصة مساعدة أي فتاة حتى لا يكون مصيرها مثل مصيري.

لم أفكر في الزواج قط، دائما ما كنت أعتبره مشروعًا فاشلاً خاصة بعدما فطر قلبي من الشخص الذي رغبته وأحببته ولكن أهله ومجتمعه رفضوني، كانت معي ثروة طائلة، دائمًا ما كنت أساعد مؤسسات الأيتام وكل المحتاجين، كنت أنظر إليهم وأجد نفسي بينهم وفي إحدى المرات أثناء زيارتي للمؤسسة... وجدتك كنتِ صغيرة بريئة ذكرتني بنفسي أخذتك في حضني،

كنت في الثلاثين من عمري ومشاعر الأمومة كانت متفجرة بداخلي، لم أرغب في الزواج والإنجاب... لم أستطع إنجاب طفل حتى أنسبه إلي، كنت غير مشرفة ملوثة من قبل الناس، دوما ما كنت أسمع همساتهم خلفي، ولكن صدقيني حتى وإن تلوث جسدي كان قلبي دائما نقيًا.. كنت صالحه بداخلي... ولم تعبث به حياتي المأساوية.

دائما ما كنت أتمني بأن يكون لي عائلة قد وجهت اهتمامها إلي، أصدقاء صالحون مدوا لي يد العون، زوج أحبني ورغب في بدأ حياة معي، مجتمع قدم لي أحلامًا باتت واقعية حقيقية، ولكني لم أجد شيئًا سوى الجهل والفقر والانحراف... لم أجد سوى المنحرفين وأصحاب الشهوات.

جلبتك معي إلى منزلي وبعدها توقفت تماماً عن العمل، أثار هذا الخبر ضجة إعلامية كبيرة، فقد كنت في كامل شهرتي، عندما رأيتك أصبحت مولعه بك، أردتك فقط ولا شيء آخر... كنت أريدك في حياتي، أريدك بجانبي.

اشتريت منزلا كبير في مكان بعيد هاديء، وجلبت سيدة طيبة لكي تخدمنا وتجلس معنا، كنتِ في الرابعة من عمرك؛ بسببك اعتزلت الفن واقتربت من الله.، واظبطت على الصلاة وارتديت الحجاب ذهبنا سويًا إلى الحج، ساد بحياتي رضا وسعادة كانت تشوبها راحة داخليه، لم أتذوقها أبدًا وكانت المرة الأولى التي أشعر بها، عشت معك ثلاث سنوات وكانت أجمل ثلاث سنوات في حياتي، كنت أتمنى المزيد ولكني استيقظت في يوم وأنا أسعل بشدة حتى تقيأت دمًا، تكرر هذا عدة مرات، فذهبت إلى الطبيب الذي صعقني بعدما اطلع على التحاليل... أعلمني بحقيقة مرضي فأنا مصابة بالتهاب كبدي... بكيت بشدة وحزنت خشيت الموت، وكذلك حزنت على فراقك فقد كنت في مراحل المرض الأخيرة، قلت بداخلي ماذا ستفعلين من بعدي؟

أخـذت الاسـئله تلـج عقلـي هـل ستتشـردين مثلـي؟ هـل سـتعانين ممـا عانيـت منـه؟ هـل ستسـقطين في بحـار القـذارة مثلـي؟ ولكني قلت بإصرار لا، لا يمكن.

سـجلت كـل أمـوالي باسمـك ووصـيت تلـك السـيدة الطيبـه بـأن تظـل معـك حـتى تبلغـين ولكـني وصـيتها بـألا تخـبرك بشـيء عـني إلا بعـدما تبلغـين السـابعة والعشـرين مـن عمـرك، حاولـت الـتعلم مـن أجلـك، حـتي أكتـب لـك هـذه الرسـالة ولكـني فشـلت فـالتعليم في فـترة قصـيرة لا فائـدة منـه، قصصـت علـى صـديقة لي قصـتي وكتبتـه لـك في هـذه الرسـاله، فمنـذ سـنوات طويلـة وعنـدما دخلـت وكـر هـذا المجتمـع الفاسـد، وأنـا أتنـاول الخمـور بشـراهه حـتى أنسـي كـل مـا حـدث بحيـاتي، فعملـت الخمـور علـي تأكـل كبـدي... لم أكـن خائفـة مـن المـوت بشـكل كبـير لأني لم أدرك يومـا أني عائشـة في هـذه الحيـاة... لم أشـعر بسـعادة في حيـاتي، دومًـا كنـت محطمـة، وجـاء المـوت ليقضـي علـى آثـار تحطمـي هـذا،

لكنك أنت الوحيدة يا عائشة منذ أن دخلتي حياتي، شعرت بطعم الحياة، أدركت بأني حية... أتنفس ولي قيمة ودور.

الشيء الوحيد الذي حزنت لأجله هو أنت يا عزيزتي، أردت بأن أظل معكي أشاهدك وأنت تكبرين، أجعلك تعيشين حياة لم أعشها أنا، أعلمك وأتفاخر بك... أملؤك ثقة حتى لا تحطمك الأيام، كم تمنيت ولكن لا محالة؛ فالموت أتى حتى يفرق بيننا، وكما فرق الفقر بيني وبين تعليمي، وكما فرق عاري بيني وبين حبي.

اااه حبيبتي كم أرغب في أن أراك بعد عشرين عاماً ،كيف سيكون شكلك تغير، هل أصبحت متزوجة؟ هل أنجبت؟ والأهم هل أصبحت طبيبة؟ كما وعدتني، ليتك تصبحين الآن حتي تستطيعين علاجي، أريد أن أكون معكي حتي وإن رقدت علي سرير المرض.

سـأدعو الله حـتى أعـيش معـك أكثـر... حـتى وإن مـت فسـتظل روحـي بجانبـك دومًـا تطـوف حولـك، تـذكري ذلـك سـيبدلني الله لفتـاة أخـرى سـأكون نقيـة صـالحه... أعـدك فثقـتي بـه كبـيرة وهـو لا يخون الواثقين فيه.

أحبـك عزيـزتي عائشـة نلتقـي مـرة أخـرى في مكـان أفضـل مـن هذه الحياة

لم تكن مخالب إبليس - زينة صالح بدران

كنت في الثانية عشر من عمري حينما أتيت إلى أمي باكية وقت الغروب ،بعد ما أكملت جمع ما حدد لي أبي من مساحة أرض من القطن، أتيت وفي ثوبي بقعة دم، نظرت يمينًا ويسارًا هل جلست على شئ ما مجروح؟ لا شي سوى أن الدم يخرج بغزارة وتزداد البقعة في ثوبي الأبيض شيئًا فشيئاً، لوثت ما بيدي من قطن أتحسسه بين أصابعي الصغيرة كأنهار آثار خطيئة كتبت علي اليوم، ذهبت إلى الترعة راكضه لأتخلص منه بان لونه المخيف في زرقه الماء كلما حاولت أن أتخلص منه لايزال يكبر ويتسع، قدماي ترتجفان وثوبي مبتل وهناك ألم في أسفل خاصرتي كأن شيئا ما في جوفي، تحركت في عقلي حكايات نساء الحي حينما كن يتكلمن بينهن بخبث إذا رأين إحدى الفتيات تختلط مع الأولاد في الحي أن إبليس سيكون معهم ويخترق جوفها ويمد مخالبه إلى بطنها ويزرع طفل الرذيلة

وستكبر بطنها شيئًا فشيئًا، وسيكتشف أهلها ذلك وستنحر وتدفن تحت أكوام القطن المتعفنة دون كفن ولا جنازة، إزداد الخوف أكثر في قلبي تذكرت قبل يومين كنا سويًا أنا وحسان في سواقي القطن جاء ليساعدني فإن أبي لا يغفر لي إن بقيّت حصتي من جمع القطن للصباح الباكر، نظر إلي بعيناه البنيتان وابتسم رغم أني كنت أضحك بوجهه ليس حبًا له لكن لا أصبر إن رأيت أسنانه المتساقطة التي كلما سألته عنها قال لقد أكلتها الفأرة ويضحك، لا أذكر أن إبليس كان معنا ولا حتى رأيته، دخلت إلى البيت وأنا أرتجف وأجمع أطراف ثوبي وأضعها بين فخذي علي أن أتمالك نفسي حتى لا أسقط مغشيًا علي، في باحة المنزل حاولت أن أدخل دون أن يراني أحد، وآخذ ثوبي من حبل الغسيل وأتسلل إلى غرفتي لكن أمي لمحتني تجاوزتها وسارعت الخطى إلى الدار فإذا بها تصرخ خلفي

– سعاد أين كنتي لهذا الوقت ألم أمنعك من اللعب في الحي بعد الرجوع من المزرعة؟

صمت وأسناني تصطك أحدهما بالآخرى ودموعي لا تهدأ أبدا ولم أشيح بنظري عن الأرض، أمي لا زالت تنادي خلفي لكن لا أستطيع النظر إليها؛ خشية أنها ستعرف كل شيء.

– ألم أتحدث معك، ما بك بلعتي لسانك وتجمدت في مكانك؟

اقتربت مني ووقفت أمامي وهي صامته وأطراف أناملها الخشنة من طحن الرحى تتلمسني بخوف كأنها تتلمس شيئا دنس وقالت

– سعاد أنتِ فعلتيها وكسرتي وجهي قولي لي من دنسك؟

صارت تبكي وشذرات دموعها تكاد تضيء على وجنتيها المحروقة من الشمس والداكنة كرغيف الخبز الذي يعطى بمنيه لمشرد أعمى في ظلمات الطريق، أردت أن تخرج الكلمات من فمي لكن ماذا أقول لا أعرف أي لغة صارت تتحدث بها كأنني لا أعرفها وليست أمي التي طالما كانت إلي الملجأ

الوحيد وعطرها يعادل مسك الحياة بأكملها، صارت تتمتم بكلمات تارة تخفض صوتها وتارة ترفعه حتى أجتمع أخوتي الصغار من خلف الأبواب بنصف وجه ينظرون إلينا كأننا في مشهد مسرحية.

– كنت دائما أقول لعبد العزيز أخذك الفتاة معك للمزرعة سيفسدها، ستجلب لنا الخطيئة لكنه لم يسمع، أخذت يدي بقوة إلى الغرفة وصرخت في أخوتي

– أخرجوا إلى الغرفة الثانية وأحذركم إذا أسترق أحد السمع أو وشي لأبيه عما رائيتموه الآن

– هيا تكلمي من فعلها بك؟ وتصفعني بقوة على كل جزء من جسدي، كنت لا أعرف عما تتحدث عنه، أيمكن أن يكون لقائنا أنا وحسان قد جلب لنا إبليس ومد مخالبه في

جـوفي وزرع طفـل الرذيلـة، وهـذه الـدماء الـتي تخـرج مـن جسـدي هي آثار مخالب؟

حركـت شـفتاي بعـد عنـاء طويـل مـع تكسـر الأحـرف في لسـاني الثقيل نطقت ببطء

– أمـي... لم يكـن إبلـيس معنـا عنـدما كنـت أنـا وحسـان في سواقي القطن هذا المساء.

كادت تموت من الصدمة وشهقت بصوت عالي وقالت

– حسـان نفسـه! لم أتوقـع، كـان آخـر مـا فكـرت بـه أن تكـوني يومًـا عروسًـا لمجنـون يتلقـاه الصـبيان صـباحا ومسـاء بالحجـارة كلما مر بأحياء القرية.

ضـربتني ضـربًا مبرحًـا خـالٍ مـن رحمـة الأم الـتي كـل حنـان الأرض بـين أحضـانها وخرجـت، تـركتني أنـام في الغرفـة المظلمـة حـتى الصـباح وحـدي، بكيـت ولم أدرك أن أمـي يومـا مـا ستقسـو علـي لهـذه الدرجـة وكـأنني عـدوتها، أرى عيـون الظـلام تـأكلني وأضـع

رأسي تحت غطائي، علي أن أهرب منها فأواجه الظلام أكثر قربًا، في الصباح كعادتي أرى الصبيان يذهبون إلى المدرسة البعيدة سيرا على الأقدام، أو على عربة تجرها الحمير حتى آخر الجسر الخشبي في القرية، فيأتيهم الأتوبيس الأصفر أسمع صوته كل صباح عدا يوم الجمعة، كثيرا ما أردت أن أكون معهم لكن أبي لا يسمح لي، منذ أن أبصرت عيناي هذه الحياة وأنا من موسم زراعة الذرة إلى موسم جمع القطن، لا تعرف يداي نعومة كباقي الأولاد، كان أبي يعلمني على زراعة الذرة الصفراء يعطيني ثلاث بذرات ويقول إمسكيها بأصابعك الثلاث؛ الابهام و السبابه والوسطى بقبضة محكمة ثم قومي بغرسهم في الأرض، كانت أصابعي مجاهدة فلم تأبه للحجارة الصلبة التي تعترضها ولا الأشواك المدفونة، ولا بقايا الحشرات المختبئة من برودة الشتاء أو حر الشمس، كانت أصابعي تغرس البذرات وتخرج وفيها على ما يقارب خمسة خدوش، كنت أضعها في فمي حتى تهدأ وأعاود الغرس مرة أخرى، لقد كبرت قبل موعدي ولا يرافقني سوى حسان المختل عقليًا الذي يكبرني

بسبع سنوات، وتقول أمي أنه دنسني في حقل القطن، فقد كانت آثار الدماء على ثوبي ليلة أمس كافية لتثبت لها أن إبليس وضع أنيابه على جسدي، أخرجت رأسي لأتفحص المنزل فليست عادة أبي أنه لم يوقظني قبل طلوع الشمس ونذهب سويًا إلى الحقل، أبي ليس موجودًا وأمي تعد الرغيف لأخوتي الصغار وتطعمهم بيدها ما أن أقتربت منهم وسألتها:

– أين أبي ولم لا يوقظني معه؟ قالت وهي لم تنظر بوجهي حتى

– أخبرته أنك محمومة ولم تستطيعي أن تذهبي اليوم وأكملت قائلة

– هاك فطارك كلي بسرعة لدينا اليوم مشوار إلى السوق، رغم مآبي من حزن من ليله أمس لكن عندما سمعت "سوق" فرحت جدا لأنني كنت دائمة الشوق للذهاب إليه مع أمي، تكتفي أمي بوضع سلة البيض على رأسها كل خميس من

الأسبوع وتجر أخي الصغير خلفها ويذهبان إلى السوق، تأتي لنا بثمن البيض بعض الحلوى وسمن وبعض حاجيات المنزل، تجمع أمي ما تبيضه الدجاجات لأسبوع ثم تبيع البيض هناك، أكلت رغيف الخبز على عجل وركضت مسرعة إلى حذائي الذي يحوي على ألف خيط من كل لون يتمزق؛ فيخيطه أبي لي ويقول لايزال صالحا أنظري، سنذهب في العيد وأشتري لك واحدًا جديدًا، أتى العيد وذهب وأتى آخر ولم يجلب لي أبي واحدًا بعد، لكن رغم ذلك بيني وبين هذا الحذاء علاقه صداقة قوية؛ فهو دائمًا ما يكون وفيًّا ويصد عني تلك الأشواك القاسية، على الرغم من محاولاته لكن هناك منها ما يقهره ويدخل إلى قدمي، فأجلس وقت الإستراحة أستخرجها بصعوبة بشوكة النخل المدببة، أتألم لكن لابأس أنسى سريعًا وأعاود العمل، إرتديت حذائي وجلست أنتظر أمي بفرح رغم أن نظرتها اللاذعة لي لا زالت من الأمس، لم يزل غضبها مني كما لو كنت أنا من أختار اللون الأحمر للدم لو كان بيدي ما اخترته، ربما سأختار الأبيض أو الأسود حتى لا تحزن أمي

هكـذا، ذهبنـا سـويًا إلى السـوق وكـل دقيقـة أتخيـل كيـف سـيكون شـكلة، هـل فيـه ألـوان! هـل فيـه أتوبيسـات صـفراء مثـل الـتي تأخـذ أطفـال القريـة إلى المدرسـة، هـل هنـاك ثيـاب جميلـة، هـل سـأجد الحـذاء الـذي وعـدني أبي بـه؛ سـيجلبه في العيـد؟ ربمـا سـأجد العيـد هنـاك أيضـا، لكـن وددت لـو أنـني مـا آتيـت إلى هنـا، أمـي تمسـك يـدي بغضـب وتجـرني إلى حيـث لا أعلـم وأنـا أنظـر يمينـاً ويسـاراً مـن هـول مـا أرى؛ نـاس كثـيرة، ووجـوه شـتى، وجـوه بيضـاء وأخـرى سمـراء ولا تعلـم مـن فـيهم أبـيض السـريرة، ألـوان وأحذيـة لم أحلـم أن أراهـا يومًـا، في السـوق فتيـات بعمـري يرتـدين الملابـس البراقـة، نظـراتهن كـادت تقتلـني لا أعـرف لمـا! ربمـا الخرقـة الـتي رقعتهـا أمـي في ثـوبي لا تناسـبه لأنهـا ليسـت بلونـه، لايهـم فقـد يبـدو جيـدًا فلونـه داكـن لا يجلـب البقـع الحمـراء إلي مجـددا، كنـت أبتسـم في وجـوه المـارة ولكـن عيـونهم كالسـهام القاتلـة، أحـدهم يـرمقني بغضـب والآخـر بشـفقة، تفاصـيل كثـيرة، أكثـر مـا أذكـر منهـا أن أمـي قطعـت علـي سلسـلة التـأملات بطـرق بـاب خشـبي في زاويـة مـا مـن السـوق فتحتـه امـرأة بدينـه

ترتـدي حلـي كثـيرة وتضـع الكحـل في عينيهـا بطريقـة مخيفـة وقالت بصوت فض

– نعـم مـاذا تريـدين؟، أنـتم المتسـولون لقـد ازعجتمونـا بطـرق الباب كل ثانية.

قالت أمي:

– لا لسنا متسولين لدي من المال ما يكفي أتيت لأرى الجدة

فأجابت تلك المرأة

– أنهـا هنـا هيـا أدخلـي بسـرعة، وضـعي نصـف المبلـغ في هـذه العلبة.

فتحـت أمـي كيسًـا مـن القمـاش تعلقـه بخـيط أسـود في رقبتهـا وتضـعه تحـت ثيابهـا، أخرجـت منـه بعضًـا مـن النقـود لا أعلـم كـم عـددها فأنـا لم أدخـل المدرسـة، أجيـد العـد حـتى العشـرة علـى عـدد أصـابعي، لكنهـا تبـدو كثـيرة، قـد مـلأت كـف أمـي جيـدًا،

دخلنا إلى الدار نتبع المرأة البدينة، أدخلتنا إلى غرفة كبيرة شبه مظلمة تعج بالبخور والشموع في كل مكان، وفيها نساء كثيرات وأطفال يبكون وفتيات باعمار مختلفة، لكنني أصغرهن سنا، وفي آخر الغرفة تجلس عجوز تدعى الجدة، تضع على رأسها عصبة سوداء وتتدلى على كتفيها جدائل بيضاء غزاها الشيب وأمامها موقد فحم وستار من القماش، اختلست النظر قليلاً خلف الستار مفروش بصوف كبش، جلسنا مطولا أنا وأمي حتى نادت الجدة بإسم أمي

– حليمة، حليمة أين أنت أقتربي هيا ماذا عندك؟ أشارت أمي لها أنها لا تستطيع أن تتكلم أمام النساء هل لها أن تحض ببعض الخصوصية؟

بعد صمت ونظرات مخيفة منها وافقت الجدة أن تكلم أمي داخل الستار، ما أن دخلنا إلى هناك تمتمت أمي لها ببعض كلمات وإذا بها تصرخ في وجهي

– عديمة الشرف لقد أغواك الشيطان وأبناء إبليس أليس كذلك؟ هيا تعالي إلى هنا نامي وأرفعي عنك ثوبك.

أشارت لأمي بالخروج، كنت أتمسك بطرف رداء أمي بقوة، نزلت من عيني دمعة ساخنة، لكن أمي خيبت ظني وأصبحت تشبهها أيضا، نظراتها مخيفة وقاسية كالحجارة التي أصادفها في الحقل يوميًا، مسكت يدي بقوة وأفلتتها وخرجت، بقيت لوحدي معها، شكلها المخيف جدا عرفت لما صراخ الأطفال هنا بلا سبب يملأ المكان، تسمرت في مكاني لا أعلم ماذا تريد لكنها صفعتني على وجهي بقوة ورفعت ثوبي إلى أعلى بطني ومدت يدها كانت ناعمة وباردة صبت قليل من الزيت من القارورة التي في الرف بجانبي مسحت به يديها وهي تنظر إلي بإبتسامة ساخرة أغمضت عيني حتى أتجنب رؤيتها واستسلمت لما يجري، لا أعلم ماذا فعلت وما الغاية منه، لكنها لم تضع سوى بضع قطرات زيت ودلكت بها بطني لمدة ثانيتين ثم أمرتني بالذهاب دون أن أتحدث عما جرى بيننا

هنا حتى لأمي وهددتني إذا فعلت وأخبرت أمي ستقتلني، نهضت بسرعه كسجين أطلق سراحه، نادت الجدة على أمي

- حليمة تعالي إلى هنا.

لا أعرف ماذا قالت لأمي حتى أنها كادت تدفنني تحت قدميها، أرادت أن تنبذني كما لو لم تلدني يومًا، كيف للأمهات أن يكن أكثر قسوة من العالم الذي ولدنا به، وكأن يدها لم تمسح رأسي ولم تقل لي أنني فلذة كبدها ولم تخبأ لي قطعة زائدة من الحلوى دون إخوتي، لا أعرف ماذا قالت لها تلك العجوز حتى تنسى بلحظة ما كان بيننا من ود وحب، سمعت ما دار بين أمي والعجوز من كلام وعلمت أن أمي ستزوجني إلى شخص من طرف هذه العجوز دون أي مهر فقط أنه سيسترني ويقبل بي بدنسي وخطيئتي، وافقت أمي دون أي إعتراض وحددت العجوز الميعاد غدا بعد الظهر سيزور بيتنا وسيأخذني معه، من هو وكيف يكون شكله وهل سيقبل أبي بذلك، ماذا فعلت حتى أذهب مع شخص لا أعرفه؟

لكنـني لازلـت صـغيرة كنـت أحلـم أن أذهـب إلى المدرسـة مـع الفتيـات لا إلى الـزواج، أسـئلة كثـيرة في بـالي تـزدحم، إنتظـرت أن نخرج من بيت العجوز حتى أسأل أمي

– مـاذا فعلـت حـتى تطلـبي منهـا أن ترسـل إلي عريسًـا، هـل مللـت وجودي! هل المال لا يكفي لتطعميني؟

أوعـدك لـن أكـل سـوى وجبـة واحـدة في الصـباح، ولـن ألتقـي بحسـان مـرة أخـرى ولـن أطلـب حـذاء جديـد وسـأجمع القطـن بـدلا مـن لـوحين أربـع، فقـط دعيـني عنـدك لا أريـد أن أذهـب مـع أحـد لا أعرفـه، رأيـت في طـرف عـين أمـي دمعـة صـغيرة مختبئـة تطردهـا الجفـون بقسـوة، ظننـت أنهـا سـتأخذني لحظنهـا وتـرفض مـا قالتـه لهـا تلـك العجـوز لكـن مسـحت دمعتهـا بسـرعة وصـرخت في وجهـي، "أصـمتي" وأخـذت بيـدي مسـرعه إلى البيـت، إجتـزت السـوق ولهفـة النظـر إليـه لم تكـن كمـا دخلتـه، لقـد مـات كـل شـيء داخلـي، كيـف أحتمـل فكـرة أن أمـي سـتتخلى عـني لرجـل لا أعرفـه ولم يفصـلنا عـن غـدٍ سـوى ليـل وفجـر، تمنيـت أن يكـون

الطريق إلى البيت أطول مما حسبت من خطوات، أطول من أن يراه بصري أخاطبه أرجوك أمتد لأبعد مما ترى عيناي، ليته كالسراب، كانت أمي على طول الطريق شاردة الذهن كل ما مسكت بطرف ردائها تسرع الخطى وألهث ورائها راكضه فتفلت يدي منها، ما أن وصلنا البيت قبل الظهر إستقبلنا إخوتي الصغار فرحين كل ظنهم أن أمي جلبت لهم الحلوى مثل كل مرة تذهب بها إلى السوق لكنها لم تفعل، بدل أن تشتري لنا كل مرة الحلوى، أنفقت نقودها لتلك العجوز، مرت الساعات كأنها تهرب وتلعب معي لعبة الغميضة أتى العصر سريعًا وجاء معه أبي منهكًا من العمل جاء يتفقدني يبحث عني ليطمئن على صحتي؛ فقد أخبرته أمي صباحًا أنني محمومة، صاح في المنزل

– سعاد حبيبتي أين أنت؟ إن الوقت يمضي بطيئًا من دونك اليوم، حسان يسأل عنك أخبرته أنك مريضة وقطفت لك

بعض أعشاب البابونج حتى تشربيها وتشفين سريعًا وسنذهب سويا إلى الحقل.

بقى يردد إسمي "سعاد" "سعاد" ويبحث في أرجاء المنزل أنا أضع رأسي بين قدمي وأتكور كالجنين في زاوية مظلمة من الغرفة لا أريد أن يراني؛ فلست محمومة ولا أعرف ماذا تخطط أمي، أبي يعاود الكلام

– حسان جاء صباح اليوم مبكرًا يسأل عنك حزن عندما قلت له أنك مريضة

ما أن سمعت أمي أسم حسان وقد جن جنونها، جاءت مسرعة وأخذت بيد أبي إلى الغرفة الأخرى، كنت أشاهد كل هذا من خلف الستار الذي نضعه لكل غرفه في بيتنا بدل الأبواب، دخلا حتى سمعت صوتهما يزداد أكثر فأكثر حتى أن إخوتي الصغار هرعوا فزعًا إلى حضني، لا نعلم ما يدور هناك لكن لا يبدو أن كل شيء على ما يرام، بعد عدة دقائق خرج

أبي ووجهة كئيب وكأنه قائد إنهزم في معركة مطأطئًا رأسه إلى الأرض ويتعثر وكأن ثوبه ازداد طولا عليه، ودخل إلى غرفته دون أن يتحدث بشي وكأن صوته إبتلعته جدران الغرفة، خرجت أمي تتبعه حالتها ليست بأفضل منه، ركض إخوتي لها فزعين حضنتهم بقوة ودخلوا جميعهم إلى الغرفة الأخرى دوني، لحقت بهم فإذا أمي تشير بيدها إلي حتى أذهب إلى الغرفة الأخرى، رجعت مكسورة الخاطر تخنقني عبرات من الدموع إحتضنت الأغطية وجلست وحيدة؛ لما أعامل هكذا كأنني خطيئة في هذا المنزل!

هدوء قاتل كسره صوت الشيخ عبد الحفيظ يؤذن لصلاة المغرب، صوته الجميل أعاد إلى قلبي الطمأنينة بعدما فقدتها من أقرب الناس إلي، إستمعت لصوت الآذان بألم وهو يقول "الله أكبر" ،"الله اكبر" غفوت وأنا أستمع لصوت الأذان صحيت على جملة الشيخ عبد الحفيظ الأخيرة "والحمد لله رب العالمين"، نهضت إلى الحوض المملوء بالماء في باحة منزلنا أملأ

إبريـق المـاء لأبي لكـي يتوضـأ إنتظرتـه ولم يـأتي، كعـادتي أصـلي خلـف أبي عنـدما نعـود سـويًا مـن الحقـل وإذا أذن ونحـن هنـاك كنـا نتوضـأ مـن الترعـة ونفـترش الأرض ونصـلي،كان أمـامي وأنـا خلفـه أسمـع تمتمتـه وابتهالاتـه لكـن لا أسمـع جيـدا مـاذا يقـول ويفعـل تلـك الحركـات الـتي حـين يؤديهـا لا يبتسـم ولا يلتفـت، ثابـت كجـذع نخلـة، أخـذت بعـض المـاء وغسـلت وجهـي وكفـي ومسـحت رأسـي وقـدمي كمـا يفعـل أبي دائمًـا عنـدما يتوضـأ للصـلاة، إرتـديت جلبـاب الصـلاة وإسـتقبلت القبلـة رفعـت صـوتي وقلت "الله أكبر" وإذا بأمي تصفعني وتقول

– تريـدين الله أن يغفـر لـك، أم لتحـل اللعنـة علينـا حـتى ينقطـع رزق والـدك المسـكين، هنـاك يرتعـد تحـت الاغطيـة، لا أعلـم يرتعـد خوفًـا أم مرضًـا، لقـد أخبرتـه بكـل شـي، وافـق علـى زواجك من الرجل الذي سيأتي غدًا بعد الظهر.

وانا أتحسس حرارة الصفعة قلت لها بصوت مكسور

– لكـن مـاذا أخبرتيـه عـن أي شـي، كيـف سـيقبل أن يـزوجني لهم!

وبقيـت أبكـي وددت لـو حاورتهـا لأفهـم لكنهـا لم تأبـه وأطفـأت الفـانوس بنفخـة واحـدة وتـركتني الـوذ بجـدران الغرفـة عـل أحـدهم يجبـني، وحـدي مـع جـوع الـبطن للأكـل وجـوع الـروح إلى الأمـان، كـل مـن في البيـت نـام تلـك الليلـة بـلا عشـاء، أطفـأت أمـي جميـع الفـوانيس في المنـزل إلا غرفـة أبي كـان فيهـا بصـيص ضـوء خافـت، وأنـين مكتـوم لأبي تحـت أكـوام مـن الأغطيـة، كانـت ليلـة قاسـية لم أنم حـتى الفجـر، فكـرت مطـولا مـاذا سـيحدث غـدًا؟ هـل سـأودع كـل شـي هنـا، حـتى هـذا الظـلام الـذي طالمـا أخـافني إحتضـنني للمـرة الأخـيرة الليلـة مودعًـا ويشـهد دمـوعي، كـان الوحيـد بيـنهم مـن أثبـت وفائـه، كثـيرًا مـا تتخلـى عنـك الأشـياء الـتي راهنـت علـى أنهـا سـترافقك للأبـد تخـذلك مـن أول موقـف، لتصـحو وبجانبـك مـن ظننـت أنـه مـن الكـارهين، لطالمـا أبكتنـا نهايـات الطـرق الـتي أضـحكتنا بـداياتها كثـيرًا، وعضضـنا أصـابع

الندم لأشياء لم نخطط لها بدقة، تأتيك الحكمة متأخرة لتصفع وجهك لكن لم يتبقى وقت لنصلح مافسد، بقيت أراقب صوت الديك وهو ينذر بقدوم الصبح وأول خيوط الفجر التي قهرت سواد الليل منتصرة ودعت الخسارات لنا نحن البشر، جاءت أمي أغمضت عيناي مدعيه النوم بعمق، أيقظتني مثل كل صباح ضننت أنها نسيت ما جرى من الأمس وسأذهب مع أبي إلى الحقل، عندما سألتها:

– أين أبي؟ قالت

– إنه ذاهب إلى الحقل ليس جديد عليك أن والدك لم يتغيب عن حقل السيد كريم يوم؛ وإلا سيطرده ويأتي بألف من أمثاله، رجل مثله لا تنطلي عليه أكاذيب المرض لا يعرف في حياته سوى المال.

إلتزمت الصمت، وطلبت مني أمي أن أجلس مع إخوتي على الإفطار وكأن شيء لم يحدث كعادة الأيام التي مضت، تناولت

فطـوري معهـم وكنـت سـعيدة لأن أمـي لم تنظـر إلي تلـك النظـرات الـتي طالمـا أخـافتني منـذ يـومين، أكلـت بـبطء وأنـا أنظـر إلى أمـي وهـي مشـغولة بتقطيـع الخشـب في الموقـد وتضـع عليـه قـدرًا كبـيراً مملـوء بالمـاء، مـا أن تصـاعد منـه البخـار حـتى وضـعته جانبًـا، دخلـت إلى غرفتهـا وأتـت بصُـرَّةٌ بيضـاء اللـون وبعـض الصـابون ودخلـت بهـم إلى الحمـام وخرجـت بعـدها أخـذت قـدر المـاء إلى هنـاك وأنـا أترقـب مـاذا تفعـل حـتى نـادتني إليهـا، أتيـت وكـان كـل ظـني أنهـا هـي مـن ستغتسـل وأرادت مسـاعدتي في شـيء مـا، لكـن مـا أن دخلـت إلى الحمـام وجـدتها تنتظـرني جالسـة علـى منضـدة خشـبية صـغيرة وأمامهـا إنـاء كبـير نجلـس فيـه عندما نغتسل، قالت لي:

– هيا أقتربي

فاقتربـت منهـا أمسـكت جـدائلي برفـق وصـارت تفـتحهن بـبطء شـديد وتشـمني وتبكـي، كـأن اللقـاء الأخـير بـين يـديها وجـدائلي الـتي طالمـا دللتهـا أناملهـا، خلعـت ملابسـي بـبطء أحسسـت

بالخجل فلم ارفع رأسي، فهي منذ مدة طويلة لم تدخل معي الحمام لكنها المرة الأخيرة على ما يبدو، جلست في الإناء وصبت على جسدي الماء غسلتني كما لو أنني أولد لأول مرة بين أحضانها، أكملت غسلي على عجل وأخرجت من الصُرَّةٌ البيضاء ثوبا رأيته للمرة الأولى أبيض فيه شذرات جميلات يعكسن لون الشمس إلى بريق متناثر مثل الثياب التي رأيتها معلقة في السوق البارحة، ألبستني إياه، لكن فرحتي لم تكتمل به فإن أكمامه طويلة علي وليست بمقاسي لكن أمي راضية عنه على ما يبدو، قالت بحزن:

– لم تنتظري يا سعاد حتى يكون في مقاسك وترتدينه أقبلي به كما هو، جزاك هذا.

وأكملت تمشيط شعري تحت دفء الشمس في باحة المنزل، أبي لم يعد إلى الآن، هناك في قلبي شوق له أود لو أحضنه وأبكي بين ذراعيه أشكو له قسوة أمي وددت لو يكون بجانبي عندما نلعب أنا وأخواتي على ضوء الفانوس ويكون هو في

صفي ضدهم، لكنه لم يأتي، أتى الظهر سريعًا أمي طلبت مني أن أكون هادئة حين يزورنا الضيوف، وأنفذ كل ما تطلبه مني، كانت تجمع ملابسي في الصُرَّة وتقول:

– سعاد إنها فرصتك الأخيرة قبل أن يغير أباك رأيه، فرصتك الأخيرة قبل أن تدفني تحت التراب.

لم أكن أفهم ما كانت تقصد لكن حبي الشديد لها جعلني أنفذ كل ما تمليه علي، كان منزلنا يزدحم بصوت الدجاج الذي كانت أمي تربية لأجل البيض حتى تبيعة كل خميس في السوق؛ لتغطي مصاريف بيتنا، والسبب الرئيسي كان لتأمين دخول أخوتي إلى المدرسة بعد سنتين أو أكثر، تجمع كل النقود لهم، عندما أسألها لما لم تجمعي لي حتى أذهب معهم إلى المدرسة أيضا كانت تقول أنهم ذكور وأفضل مستقبل منك أريد أن أرى حبيبي كامل دكتورا حتى يجني الكثير من المال لنا؛ ونشتري حقل القطن كله ولم نعد خدمًا وفلاحين للسيد كريم، سنشتري حقل القطن كله، وأريد هاني أن يصبح معلمًا مثل

السيد عادل، الله ما أجمله بزيه وكتبه وعصاه الطويلة تحت أبطه ونظاراته التي تظهر عينيه مستديرة، قطع صوت الدجاج سلسة ما كان يدور بيننا أنا وأمي من أحاديث ماضية حول موقد الفحم ليلاً ونحن نعد ماجنته من نقود من بيع البيض؛ لتؤمن دخول أخوتي إلى المدرسة، صوت الدجاج كان ينذر بدخول غريب إلى دارنا، ذهبت أمي مسرعة وفتحت الباب الخارجي وأنا أنظر من بعيد، دخلت امرأة بدينه مع رجل يرتدي ملابس كما التي يرتديها السيد عادل المعلم، المرأة نفسها من فتحت باب منزل الجدة عندما ذهبنا إليها، شعرت بخوف مريع، قدماي لا تحملني ودقات قلبي بدأت تخفق بشدة، لا أريد أن أعود إلى هناك لا أريد أن أعيد تجربة الدخول لتلك العجوز، رحبت أمي بهم مجبرة رفضا أن يجلسا حتى قالت المرأة البدينه:

– نحن على عجل من أمرنا، ناديها فلتسرع.

كانت تقصدني، بقي الرجل واقفًا عند الباب وجاءت المرأة مع أمي نحو غرفتي، ركضت مسرعة وجلست بهدوء وأنا أرتدي الثوب الذي ألبستني إياه أمي، وأنا أتعثر بطوله وأدفع أكمامه عن ذراعي، وجدائلي تتدلى على كتفي، دخلت أمي وتتبعها البدينه ونظراتها تأكلني، مدت يدها على خدي وابتسمت ابتسامة ممتزجة بخبث ثم تلمست جدائلي والثوب الذي أرتديه، ثم أدخلت يديها من جيب ثوبي ومدت يديها إلى صدري تلمسته ذعرت حاولت منعها فقالت:

– نعم إنك صالحة للزواج، تبدين يافعة، لا تخافي الفتيات أمثالك لا يستحقن العيش، أحمدي الله الجدة أنقذتك من موت محتوم، هيا ودعي أمك وأجلبي معك القليل من الملابس وأسرعي؛ فإن السيد ينتظر في الخارج لديه أعمال أخرى أهم منك.

مـا أن خرجـت حـتى إحتضـنتني أمـي بحـرارة، بكـت طـويلاً علـى كتفـي وبكيـت معهـا وبقيـت تلـثم وجهـي بالقبـل حـتى تـذوقت طعم دموعي، مسكت وجهي الصغير وقالت:

– لا تخـــافي، وســـامحيني لم أحتمـــل فكـــرة قتلـــك، أردت أن تعيشـي حـتى لـو لم تكـن حيـاة سـعيدة، فقـط أهـربي مـن هنـا، يبـدو عليـه رجـل كـريم سـتتزوجين وتنجبـين أطفـالا ويمـلأون حياتـك، لا وقـت لـدي لتبقـي معنـا سـتظهر بطنـك عـاجلاً أم آجلاً.

قطعـت المـرأة حـديثنا وصـرخت،" هيـا أنـت " دخلـت دون اسـتئذان وجـرتني خلفهـا وبيـدي صُـرَّة ملابسـي الـتي جهزتهـا أمـي لي سـابقًا، لم أحظـى بتوديـع أخـواتي، أبي كيـف يعقـل أنـني لـن أراه مجـدداً لم نتفـق علـى ذلـك! كيـف أذهـب ولم تشـبع عيـني مـن ملامـح وجهـه الـتي أعـرف تضاريسـها وتعرجاتهـا بعمـق! وددت لـو يقتلـني فـإن المـوت بـين يديـه حيـاة، كفـي الصـغير لم يكـبر إلا وكفـه الكبـير يحضـنه، سـيأتي العيـد وسـيجلب لي الحـذاء الـذي

وعـدني بـه ولـن يجـدني، سـيلعب معـه أخـواتي الغميضـة لـيلاً وسيخسـر لأنـه لا يجـدهم إلا بمسـاعدتي، لـن يجـد مـن يعـد لـه إبريـق المـاء ليتوضـأ ولـن يقبـل نحـري ويضـعني في فراشـي عنـدما أغفو بحضنه متعبه من عمل الحقل.

أكملـت حـديث الـنفس مـع أمـي بـالنظرات الأخـيرة ،وأكملـت خطـواتي نحـو البـاب أجـري خلـف المـرأة، السـيد يبـدو عليـه سـأم الانتظـار فسـبقنا إلى السـيارة جالسًـا في المقعـد الأمـامي مـع السـائقً، دخلـت السـيارة ولم أحظـى بنظـرة أخـيرة إلى دارنـا، إلى أمـي وأخـوتي ولا حـتى أبي، جلسـنا معًـا أنـا والمـراة البدينـه إلى الخلـف وأنـا أنظـر مـن الزجـاج الخلفـي للسـيارة إلى الـوراء عـل أمـي تـوقفهم وتـرجعني إلى أحضـانها لكنهـا لم تفعـل، سـارت بنـا السـيارة مسـرعة حـتى جسـر القريـة الخشـبي، عبرتـه بـبطء، كنـت ألتفـت كـل دقيقـة إلى الـوراء حـتى استسـلمت أن لا أحـد مـن أهلـي سـيتبعني ويعيـدني إليـه، بكيـت بصـمت واحتضـنت ملابسـي بقـوة فإنهـا آخـر مـا تبقـى لـدي مـن رائحـة أهلـي، تمعنـت

النظـر لكـل مـن في السـيارة السـائق لا ينـبس شـفتيه، والرجـل الـذي في المقدمـة كـل فـترة أثنـاء الطريـق وهـو يحـرك المـرآة الـتي أمـام السـائق نحـوه ويـرمقني بنظـرات لا أفهمهـا، أطأطـأ رأسـي فـأرى حـذائي القـديم تحضـنه أصـابع قـدمي بقـوة وخـوف، كـل شـيء في جسـدي يـود العـودة إلى الـوراء إلى هنـاك حيـث أبي، إلى حقـول القطـن، تـذكرت ألم أشـواك الحقـل الـتي لا تسـاوي ذرة ممـا في روحـي مـن ألم الآن، أصـعب مـا يواجـه المـرء هـو الضـياع لا تعـرف أي طريـق تسـلك، تسـير بـك قافلـة الحيـاة إلى حيـث المجهـول، وددت لـو يتوقـف الـزمن، لأخـبر أمـي بكـل شـيء، نعـم أخبرهـا أن حسـان قبـل فمـي في حقـول القطـن ومسـك جـدائلي، لفهـا علـى أصـابع يديـه كانـت كـالأفعى ويبتسـم، يسـحب جسـدي منهـا كـل مـا هربـت منـه، ويعيـدني إليـه، لم يبـدو مجنونًـا حينهـا، لقـد رأيـت في عينـه بريـق رجـل حقيقـي، وددت لـو يسـمحوا لي وأعـود وأخبرهـا أننـا نمنـا علـى أكـوام القطـن، إنعكسـت زرقـه السـماء في عينينـا، ضـحكنا ومسـكنا يـدي بعـض حـتى غـادرت طيـور الحقـل إلى أعشاشـها، واقـترب إبـن

آوى إلى القرية لاهثًا يبحث عن الدجاج يخدعه أن الحرية خارج القفص، ويقص له أن البشر أصحاب مصالح، لم يحبوا شيئًا إلا ليأخذوا منه شيئا ألذ وأجمل وكان كل عطائك البيض، لم نترك يدي بعض حتى خجلت الشمس مما نحن عليه ذهبت بسرعة خلف التلال وخلف شجيرات القطن الخائنة، نعم خائنة لأنها تحمل بياض القطن، وكانت شاهدة على نهايتي السوداء زور، لم تكن منصفه عندما كنت ألوذ بها ضائعة أبحث عن مكان أواري فيه لون الدماء على أناملي، كان وحده الليل وفيا حينما أتى مسرعًا ليستر تلك البقع على ثوبي، حتى ترعة الماء فضحتني فلم تحتفظ بسر وقفت ضدي حين توسلت قطرات الماء، أن تزيل تلك البقع بلا عودة ولم تفعل، كان ذلك اليوم الذي كتب نهايتي حينما سمحت لحسان أن يقترب مني لأول مرة كرجل وليس بمجنون، كنت أتذكر كل شيء دار معي هناك وأبكي بصمت حتى أنني نمت في السيارة وأنا أحتضن صرة الملابس بشدة، إستيقظت على صوت إغلاق باب السيارة،

ترجلت المرأة البدينه التي كانت تجلس معي في الخلف، أعطاها الرجل الجالس في المقدمة نقود وذهبت، جلست ملاصقة للباب حتى نهاية الرحلة، مشت بنا السيارة حوالي ساعتين، شوارع ملتوية تكتظ بالناس وسيارات صغيرة وكبيرة متعددة الألوان، كنت أشاهد بدهشة، فجأة توقفت السيارة أمام بناية طويلة ترجل الرجل من المقعد الأمامي وفتح لي باب السيارة وهو يشير لي بالنزول منها، نزلت وأنا أتعثر بثوبي، دخلنا إلى البناية حتى وصلنا إلى باب بأزرار ملونه تلمسها الرجل فانفتح بسرعة أشار إلي بالدخول، دخلنا الصندوق المعدني فأُغلق من تلقاء نفسه، تحرك بنا؛ فأحسست بدوار خفيف في رأسي؛ فأسندت نفسي إلى جدارة، لم يمر وقتاً طويلاً حتى توقف، لمس الرجل الأزرار مرة أخرى ففتح الباب، خرجنا منه إلى ممر طويل بعدة أبواب هو يمشي وأنا أتبعه، صار ملاذي الوحيد هذا الرجل في هذه البلدة الغريبة، توقف عند أحد الأبواب وضغط على زر أسود معلق بجانبه، ظننت أنه سيفتح من تلقاء نفسه مثل الصندوق الذي كنا فيه قبل قليل، لكن لم يفعل

أعاد الضغط مرة أخرى؛ ففتحت الباب لنا امرأة، جميلة الهيئة والملابس، أشارت لنا بالدخول سريعاً وبقيت تلتفت يميناً ويساراً إلى الممر، دخلنا وأغلقت الباب بشدة، بقيت واقفة عند الباب أحمل صرة ملابسي بينما جلس الرجل على الأريكة، ودخلت هي إلى غرفة أخرى من منزلها، لم تتأخر أتت بسرعه قالت لي:

- أتبعيني عزيزتي

تبعتها فأدخلتني في غرفة فيها سرير وستائر جميلة، بقيت أنظر إلى ما في الغرفة، جلست على السرير، نظرت إلي وابتسمت ثم خرجت، مرت دقائق ودار في بالي سؤال هل ستزوجني هذة المرأه لهذا الرجل الذي يجلس هناك، لكن هو كبير في السن، فكرت في أن أسترق النظر وأرى ما يدور بينهم، تركت صرة ملابسي على السرير وذهبت بهدوء خلف الجدار أستمع لما يدور بينهم ، كان يقول لها:

– الى هنا أنتهت مهمتي، أنت تكفلي ببقية الأمر إنها عندك الآن، لم أتكلم بكلمة واحدة مع تلك المرأة التي أوصلتني إلى دارهم وأعطيتها النقود التي أمرت أن أعطيها لها دون أي كلام آخر، اللعينة كانت تظن أنني ساتزوجها كيف لعقلها أن يكون بهذا التخلف، إنها بعمر الثانية عشر، جل أحلامها أن تحظى بدمية بشعر ذهبي.

كنت ألمس في كلامه أنه لن يتزوجني، تساءلت إذن لما أنا هنا؟ وهذه المرأه من تكون؟

عاودت المرأة الحديث مع الرجل وطلبت منه أن لا يخبر أحدا بأي شيء، وأعطته مبلغًا من المال، وهو أعطاها ورقة وقال لها أتصلي بي هذا رقم الهاتف إذا حدث أي شي جديد وغادر، لحقت به حتى الباب بعد أن غادر أغلقت الباب خلفه بأحكام، سارعت أنا الخطى إلى مكاني وجلست بهدوء على السرير، دخلت وجلست أمامي عند قدمي مسكت يدي بلطف، وقالت:

– كيف حالك، ما إسمك، هل أنت جائعة؟

أجبت

– بخير إسمي سعاد،لا... لست جائعة، من أنت وهل ذهب الرجل الذي سيتزوجني؟

ضحكت بلطف وقالت

– لا تخافي لا أحد سيتزوج، إهدأي، أنا العمة صفية

وصلنا إلى هنا الساعة الرابعة والنصف مساءا، والآن حان وقت المغرب، سمعت أصوات المآذن بقوة في كل مكان هنا، على عكس ماكان في قريتنا سوى صوت الشيخ عبد الحفيظ جارنا وهو يؤذن بلا مكبرات صوت، طلبت منها أن تأتي لي ببعض الماء لأتوضا وأصلي، طلبت مني أن أتبعها إلى الحمام، تبعتها فتحت لي صنبور الماء كان دافئًا وتوضأت كعادتي وصليت، وأنا أشتاق إلى برودة مياه حوضنا عندما كنت أغتسل منه، أكملت صلاتي وأتت إلي ببعض الطعام إلى الغرفة

أكلنا سوياً، طلبت منها أن تطفى الضوء أردت أن أنام فقد اعتدت النوم في الظلام منذ ثلاث ليال مضت، ذهبت وأطفأت الضوء كما أردت، وطلبت مني أن تنام بجانبي على السرير، ونتكلم، نمت وأفسحت لها المجال بجانبي إقتربت من حضنها وقلت لها:

– أخبريني أرجوك لما أنا هنا؟

قالت

– أتذكرين يا سعاد عندما كنت البارحة بعد الظهر عند الجدة؟ كنت هناك أنا أيضاً، متنكرة بنقاب، كنت أجلس قربك رأيت وجهك الجميل والبريء وسط هذا الخراب، عندما نادت الجدة على أمك أردت أن أعرف ماذا قالت لها الجدة، حتى أتت أمك وأدخلتك هناك إلى الستار، بقيت أنتظر أن تخرجي من هناك وبقيت أترقب وجه أمك المحفور في ذاكرتي منذ ثلاث عشرة سنه مضت، عندما أنقذتني من موت محتوم، كنت قريبه

من الستار الذي تفحصتك به الجدة وسمعت مادار بينها وبين مساعدتها البدينه من كلام كانت تضحك وتقول أي جهل أن الأم لا تعرف أن ابنتها في أيام الطمث، ويضحكن بخبث، وددت لو أقتلهن وأخبر أمك أنك لازلتي عذراء، ولكن كيف ستصدقني وهي واثقه تمامًا أن كل ماتمليه الجدة هو صحيح وحتى لو تدخلت أنا ستتذكر وجهي الذي يذكرها في تلك الليلة التي هربت فيها من زواج حاكته لي زوجة أخي كريم من رجل يكبرني ضعف عمري، حيث كنت في السنة الرابعة والعشرون حتى تتخلص مني وتنفرد بأخي الذي أكلت عقله بحبها وتضع كل مانملك من مال في حسابها وحساب ابنها المجنون، أرجعني أخي إلى البيت بعدما وجدني في محطة القطار أنتظر حبيبي ليأتي بعدما خططنا أن نهرب ونتزوج بعيداً، قال لي أنه سيقابلني هناك في الثامنة ليلاً ولم يأتي ولا أعرف أين هو إلى الآن منذ ثلاث عشرة سنة مرت، أمك كانت خادمة وفيه لنا تزوجها أبوك بعد أن كان البستاني في بيتنا هي من فتحت لي باب الغرفة تلك الليلة وهربت دون عوده إلى اليوم، لو لم

تساعدني في الهروب لكنت تحت التراب الآن، حتى يغسل أخي كريم الذي لايرحم عاري كما يقول، عندما رأيتك هناك عند الجدة كان حسن حظك أنني سارعت وأعطيت مبلغا من المال للجدة وحددت ميعاد اليوم بعد الظهر أن سيتزوجها شخص من طرفي؛ جزء من رد الجميل لامك لكن دون أن تعلم؛ حتى تهدأ الأمور وأخذك إلى هناك وأقول لها كل شيء.

وهي تسرد لي قصة وجودي هنا أحسست أنها تتكلم لي عن السعادة، هل يعقل أن أعود إلى هناك إلى حيث أبي وأمي وأخواتي، نهضت بسرعه وقلت لها:

– هيا أرجوك فالنعد إلى هناك.

قالت:

– نعم سنعود ياسعاد لكن ليس اليوم، ستبقين هنا لأسبوع حتى أرتب بعض الأمور فكما تعرفين أنا غائبه عن هناك منذ فترة طويلة، أرأيت الرجل اليوم هو من يقوم برعايتي وقضاء

بعض الأمور التي أوكلها له، ولا أخفي عليك لم يتبقى لدي الكثير من المال فقد دفعت نصف النقود إلى الجدة والنصف الآخر لمساعدتها البدينه اليوم، دفعت كل ما أملك من شغلي في تغليف الكتب التي يأتي بها هذا الرجل الذي رأيته هناك فهو صاحب المكتبة التي في أسفل العمارة أثق به، كنت آخذ منه الصحف لثلاثة عشر سنه مضت حتى أقرأ خبرا عن حبيبي المفقود ولم أجده حتى الآن، كان يبحث معي حتى ظن أنني مجنونه من كثرة الأسئلة المتكررة التي أطرحها عليه، إلى أن سردت له قصتي، فقدت الأمل والتجأت إلى العرافين والسحرة؛ لعلي أجد خبرا عنه، وكانت الجدة هي آخر من زرتها لأعرف أين هو، لكن عندما رأيتك تركت كل شيء وحاولت أن أنقذك، فما ذنبك أن تكوني ضحية جهل أمك وخداع أشخاص كل همهم المال! الكذب والخزعبلات هي التي تتحكم في مجتمعنا، أنا على يقين أنك قطرة في بحر، الكثير من الفتيات ذهبن إلى دار البغاء بسبب ثمن تأخذة الجدة مقابل التجارة بتخلف أمهاتهن، أو أطفال صغار يموتون

بسبب جرعة سامة تصنعها تلك الجدة من الأعشاب التي لاتعرف من أين أتت بها، رغم ذلك تقدس وتعظم، وهي تتكلم عن قصتها، رأت صفيه أن سعاد قد غطت بالنوم وهي تضع رأسها في حضنها وتمسك ثوبها بقوة، الثوب الذي ترتديه سعاد يجعلها كالدمية الجميلة وجدائلها الحريرية تنفرد على الوسادة، باتت صفيه معها حتى الصباح تحتضن إحداهما الأخرى كمن وجد قطعته الناقصة فكلتيهما ضحية مجتمع، بقيت سعاد عند السيدة صفيه لثلاثة ليال رأت فيها كل الحنان الذي فقدته، فقد عاملتها بلطف وأعطتها كل ما تملك من حب وساعدتها في تغليف بعض الكتب ووعدتها أنها ستعلمها الحروف والكتابة، فرحت واعتادت سعاد عليها، لكن الحنين إلى دارهم وأبيها وإخوتها كامل وهاني جعلها تتوسل صفيه أن تعود بها إلى المنزل، وافقت صفيه لكن بشرط أن ترسل أحدًا يتقصى أخبار القرية هناك، اتصلت بمحمود صاحب المكتبة وطلبت منه للمرة الأخيرة أن يسدي لها معروفاً ويذهب إلى هناك ويرى أحوال أهل سعاد، وافق ووعدها أن

يكمل مابيده من عمل وسيذهب غداً إلى القرية، فهو طالما يذهب إلى هناك ويأتي ببعض الأخبار لها من المعلم عادل الذي تعرف عليه حينما جمعهم حب الكتب والقراءة، فهو بحجة زيارته له يأتي بالأخبار لها عن أهلها من القرية، انتظرت سعاد الليل بطوله حتى يأتي الصباح ويذهب السيد محمود إلى هناك ويخبرها عن أحوال أهلها، عندما حل الظهر أعدت صفيه الطعام مع سعاد، رن هاتفها أسرعت إليه وأجابت وقالت بصوت خفيف لسعاد: انه السيد محمود، سعاد بجانبها تتوق إلى سماع الأخبار، لكن صفيه تغيرت ملامح وجهها بعد سماع الأخبار الحزينة من هناك أقفلت الخط وبقيت تمهد الطريق لتخبر سعاد أن أهلها جميعاً ماتوا بعد ليله من مغادرتها البيت، فقد والدها أعصابه في حقل القطن عندما رأى حسان وقت انتهاء العمل في ساعات العصر المتأخرة، وانهال عليه بالضرب المبرح في المجرفة حتى تركه ينزف في سواقي القطن حتى الموت، لكن أحد الحراس في الحقل رأى جثة حسان ووالد سعاد يركض هاربًا وثيابه ملطخة بالدم، لم يحتمل فراق

صغيرته، وصار حسان مصدر ضعف اليه وهو دنس أعز مايملك سعاد، جن جنون السيد كريم عند سماعه أن البستاني أبو سعاد قتل ابنه الوحيد فلحقه إلى منزله، وجده وهو يحاول أن يهرب بعائلته، قتله السيد كريم بدم بارد ولم يكتفي بذلك بل أضرم النار في المنزل.

بكت صفيه على ما حل بأهل سعاد لكن لم تخبرها بذلك ، كيف ستخبرها؟ وهل ستحتمل طفله غادرت أهلها وهي مظلومة؟

وأعادت لها صفيه الفرحة على أمل لقائهم مجددًا لكن لم تكتمل الفرحة، بقيت سعاد تسأل عن أخبار القرية وصفيه تقول لا جديد، حتى رن الهاتف مجدداً ردت صفيه، إنه السيد محمود يخبرها أن السيد كريم أخوها اخذته الشرطة بتهمة قتل أهل سعاد، مر الوقت طويلاً وصفيه تفكر أن تعود إلى القرية حتى تأخذ ما سرق من حقها وتعيش حرة ليست كالخفافيش متسترة من ظلم أخيها لها، جمعت أغراضها في صباح اليوم

التالي وذهبت مع سعاد إلى القرية، وذهبت إلى بيت أهلها، واستردت كل حقوقها هناك، كان خبر موت أهل سعاد من أقسى الأمور التي واجهتها وهي تخبر بها سعاد، عاشت سعاد عند السيدة صفيه في دارها وحكم على أخيها كريم بالإعدام، وزوجته أخذت حقوقها ولم تأتي مجددًا، كتبت صفيه حقل القطن بإسم سعاد، سيكون تعويضًا بسيطًا لها عن ما فقدته وهي في سن صغيرة، عاملتها كأنها ابنتها التي لم تحظى بها مستقبلاً، فقد كان وفائها للحب عظيمًا بقيت تنتظر حبيبها المفقود، حتى علمت فيما بعد أن السيد محمود يعرف أن كريم من قتله ولم يقل لها حتى رجعت الى دارها؛ فاخبرها أنه كان يخشى عليها مواجهة أخيها كريم ويقتلها، بقيت سعاد تحلم كل ليله أن تطرق أمها الباب وتاخذها إلى احضانها وستسامحها عن كل شيء، وبعد ثلاث أشهر من الحادثه وأثناء تعليم صفيه القراءة والكتابة لسعاد واحتفالهم بغلق دار الجدة الى الأبد وسجنها بتهمة الشعوذة، طرق الباب، فتحته سعاد وإذا بامها مع أخوتها كامل وهاني، صُدمت بعد ما دخل اليأس

قلبها بعدم عودتهم، كان لجار أهل سعاد الشيخ عبد الحفيظ الفضل بإنقاذ حليمه وأولادها حين خبأهم عنده قبل أن يحرق السيد كريم البيت، بعدما جائته ترتجف خوفاً، بقيت حتى الصباح ثم قبل الفجر ذهبت دون عودة حتى سماع خبر إعدام السيد كريم وعودة صفيه وسعاد بحوزتها، حين تجتمع عليك مرارة الفقر وآفة الجهل ومرض السلطة تسحق تحت أقدام الحياة، لكن لو اجتمع عليك كل ظلم الدنيا ويعرف الله بطهارة قلبك، أعلم أن لا ينصرك الا الله، ستتعذب، ستبكي، سيدخل اليأس قلبك، ستدفع ثمنًا غاليًا في الدنيا، لكن سيعوضك الله بنصر لم تكن تحلم به ابدًا.

مدينة الموت ـ رامز بركات

منتصف النهار... أصوات القذائف لم تتوقف منذ الصباح، وسيّارات الإسعاف لم تهدأ، رجال الإطفاء يطفئون الحرائق إنه يوم شديد، إنه يوم عصيب.

الرجال والنساء والأطفال... الجميع يركض إلى حيث لا يدري، لا أحد يدري أين تتساقط الصواريخ والقنابل كما أن لا أحد يدري كم سيرتقي من الشهداء هذا اليوم ؟

كلّ شيء في هذه المدينة مستهدف، المشافي والمراكز الخدمية والأفران والمدارس وحتى الملاجئ.

تمشي أم محمود ذات الجلباب الأسود مسرعة بحثاً عن صيدلية؛ علّها تجد لطفلتها الصغيرة هيام –التي لم تتجاوز الأربعة شهور– علبة من الحليب الذي فُقد من بيتها منذ ثلاثة أيام والتي كادت تنفجر من البكاء بسبب جوعها الشديد،

استمرت في بحثها ساعة ونصف وكانت جميع الصيدليات ترد بذات الاجابة (الحليب مفقود).

جلست على الرصيف تستريح من عناء بحثها وعيناها تمطر بغزارة، وتدعو ربها (يارب علبة حليب وحدة بس يارب) ثم قامت تكمل بحثها بكل صلابة رغم أن قلبها ينفطر من البكاء إلى أن وجدت علبة حليب، عادت بها إلى منزلها مسرعة مستبشرة وكأنها رأت كنزًا لا علبة حليب .

حين وصلت إلى زقاق منزلها سمعت صوت دوي انفجار ضخم خلع قلبها، ركضت باتجاه بناء منزلها والشظايا ما زالت تتناثر هنا وهناك، غطّى الغبار الشارع بأكمله لكنها بقيت راكضة نحو منزلها الذي اكتشفت حين اقتربت أن بناء منزلها هو المستهدف .

صرخت صرخة قوية كانت أقوى من أصوات الناس والحجارة التي ما زالت تتراكم من دوي الانفجار (ولادي ولادي)

كان لدى أم محمود أربعة اطفال (محمود ومحمد ولين وهيام) وكان جرحها لم يلتئم بعد من وفاة زوجها الذي ارتقى نتيجة شظية أصابت خاصرته منذ ستة شهور.

الجثث في كل مكان والدماء تسيل من الوجوه وكأنها ماء لغزارتها

أشلاء أشلاء... هنا قدم وهناك يد

نظرت إلى هذه الاشلاء وفركت عيناها كي تذهب الدموع وترى إن كان أحد اطفالها هنا من ضمن هذه الأشلاء ذهاباً وأياباً ذهاباً وأياباً دون أن تجد أثرا لأي من أطفالها.

سرعان ما جاءت سيارات الدفاع المدني وبدأت إزالة الأنقاض من فوق جثث العالقين تحتها

أم محمود بيداها الناعمتين ترفع الحجارة ودموعها تنهمر غزيرة على الحجارة ولو أن هذه الحجارة تشعر بألمها؛ لذابت تحت تأثير دموعها، تمكن الدفاع المدني من إخراج سبع جثث بعد

ثلاث ساعات من العمل المتواصل، نظرت أم محمود في الجثث الخارجة من تحت الأنقاض لكن الجثث ليست لأولادها، الجثث تعود لجارتها وعائلتها بالكامل، عائلة كاملة لم يتبق منها أحد.

(يالله ياالله) صرخت أم محمود

حل الليل وعجز الرجال عن ما تبقى من رفع الانقاض ورحلوا، ولم يتبقى سوى أم محمود ترفع الحجارة بأيديها التي امتلأت بالجروح وجارها محمد الذي يبحث عن أولاده الثلاثة وزوجته.

كان محمد في الخمسين من العمر الشيب في بداية غزوه لشعره، مربوع الجسد أبيض البشرة

– قال محمد: لم يبقى سوانا يا أم محمود استريحي أنت قليلاً على الرصيف وأنا سأفعل ما بوسعي سأرفع بكل ما أوتيت من قوة عسى أن نرى أحداً ما على قيد الحياة.

– أجابت: لن أتهاون لحظة واحدة حتى أخرج أطفالي من تحت جبل الركام هذا حتى وإن كانوا موتى، أريد أن أطمئن عليهم.

– إرحمي نفسك قليلاً انظري إلى نفسك وما حل بكِ .

– لا أستطيع يا محمد... لا أستطيع كيف لي أن ارتاح وأولادي تحت الركام الحقير!

– وجعك هو وجعي، لا تنسي أن أولادي مع أولادك أسفل الركام.

العريس مصطفى يا أم محمود... مصطفى كان زواجه بعد أسبوع... أسبوع واحد يا أم محمود.

البارحة أشترى البدلة كان مسروراً جداً كانت جوارحه تضج بالفرح والسرور... آآآه آآآه.

ومهنـد في السـنة الثالثـة في الهندسـة الميكانيكيـة، ونـورا مدللـة قلبي آآآه آآآه.

زوجـتي غاليـة... شـريكة عمـري رفيقـة دربي، مـا فـارقتني منـذ تزوجنا ليلة واحدة، هذه الليلة الأولى التي أكون بعيداً عن غالية بعيداً عن العريس بعيداً عن أولادي.

تمـدد علـى ظهـره فـوق الركـام وعينـاه إلى السـماء وصـوته يرتجـف وهـو يقـول: يـا ليتـني مـت قبـل هـذا وكنـت نسـياً منسـيا يـا ليتـني مت قبل هذا وكنت نسياً منسيا.

وارتفـع صـوت نحيبـه وارتجـف حـتى لم يعـد يُفهـم مـا يقـول ثم خفت صوته حتى انقطع، لقد اغمي عليه.

أسـرعت أم محمـود تهـز جسـده الصَّـريعُ، قـم يـا رجـل هنالـك أرواح تنتظر مساعدتنا.

هناك أرواح تثق بنا

قم بالله عليك

هيام جائعة تنتظر الحليب

أرجوك لم يبقى سواك هنا قم

أستعاد وعيه بعد هزاتها التي ازدادت عنفاً وعاد إلى النّحيب

قم يا رجل البكاء لن يجدي نفعاً.

عادوا إلى إزالة الحجارة التي كانت يوما ستراً لهم ودفئاً، الحجارة التي أحتضنتهم سنين، اليوم هي جاثمة فوق أجساد أبناءهم.

_ قالت: إلى متى سنبقى نحفر في هذا الجبل دون جدوى؟

_ أجاب محمد: لن نستطيع أن نفعل شيئاً أخر حتى الصباح، في الصباح سيعود عناصر الدفاع المدني وتعود الآليات لرفع هذه الحجارة الوغدة.

استمروا بالحفر حتى الصباح، وقد هلكوا من التعب

قال محمد: لقد أتت الآليات ياأم محمود لقد أتت.

ابتسمت ابتسامة لأول مرة بعد ابتسامتها يوم أمس حين أستطاعت الحصول على علبة الحليب.

الرجال يقومون بعملهم على أكمل وجه، و استمر عملهم ساعة ونصف حتى أخرجوا أول جثة (العريس مصطفى)، صُعق محمد من ما رأى رغم أنه كان يعلم أن ابنه قد فارق الحياة، سحب الجثة ووضع رأس مصطفى على ركبتيه ويهمس هيا يا مصطفى العرس اقترب هيا يا مصطفى عروسك بانتظارك.

أخرجوا جثة أخرى (غالية زوجة محمد) سحبها بجانب ابنها وبكى، غاليتي مصطفى العريس قد رحل ماذا أفعل ياغالية أكاد أصاب بالجنون يا غالية ماذا أفعل ماذا أفعل بهذا المصاب بدونك يا سندي؟

أم محمود تراقب ما يفعله محمد ولا تعلم كيف تواسيه وهي تحتاج من يواسيها، مصابها ومصابه واحدة، وبينما محمد يتحدث إلى غالية خرجت جثة نورا، نظر إليها محمد ثم أنفجر باكياً وما طال بكاءه حتى تحول إلى ضحك هستيري، ماعاد عقله يتحمل المزيد، ماعاد عقله يستوعب هول الصدمة، لقد فقد عقله، ترك الجثث في الأرض ومشى إلى حيث لا يعلم أحد، خرجت الجثة الأخيرة دون أن تجد من ينتظرها سوى الجثث... لم يكن محمد موجودا كانت الجثث الثلاثة السابقة كافية كي تقضي عليه، كانت كافية ليغيب عقله مع غياب أرواحهم.

إستمر التنقيب إلى أن ظهرت جثث عائلة أم محمود بدأت بمحمود وأخته هيام أخرجوه ويداه تحتضن أخته هيام، كان يظهر على وجهه الخوف والرعب والحنان على أخته.

وهيام كان وجهها باكيًا كما تركتها أمها حين خرجت لتشتري الحليب، فقدت أم محمود وعيها عند رؤيتهما بهذا الشكل ثم

أستعادته بعد محاولات رجال الاسعاف لإيقاظها من موتها المؤقت.

_ قالت باكية : هيام حبيبتي لقد جلبت الحليب يا طفلتي الصغيرة، ما ذنبك يا طفلتي حتى تعتصرك الحجارة وتطبق على أنفاسك الملائكية!

قالت هذه الكلمات ثم فقدت وعيها لكن هذه المرة كانت إلى الأبد ولن تستيقظ بعدها أبداً.

لقد ماتت أم محمود حزناً... لم تحتمل عاطفتها رؤية أطفالها وهم هالكين.

وجُنّ محمد بعد أن مات قلبه قهراً بعد أن قتله قهر الرجال.

مذكرات عاطل ـ اسامة الفرماوي

السبت 1991/7/13م

(صباحاً)

اليوم عندي كبقية الأيام، أول الأسبوع كآخره، وبداية الشهر كنهايته، ما فعلته أمس أفعله اليوم وكل يوم، حياة مملة رتيبة، منذ أن نلت شهادتي المتوسطة وأنا لاأشعر بالجديد أو التجديد، ثمان سنوات عجاف نخرن في عظمي، ثمان سنوات التففن حولي، أشعر بضمور في أعضائى كلما اقتربن مني حصار ولا حصار نابليون لعكا، ولست أدري متى يُفَكُ هذا الحصار.

حاولت أكثر من مرة أن أعمل، أشتغل في أي شيء، ولكني فشلت، ليس لأنني أرفض هذا العمل أو ذاك ولكن أصحاب العمل كانوا يرفضون دائماً أن أعمل معهم أو عندهم، بالرغم

مـن محـاولاتي المسـتميتة لإقنـاعهم بـأن نحـافتي لا تعـني أبـداً أنـني غـير قـادر علـى أداء العمـل المسـند إليَّ، تـذهب محـاولاتي سـدىً، ويزيدني الهم والغم نحافة فوق نحافتي.

كـل مـا اسـتطاع والـدي أن يـوفره لي لكـي أبـدأ . مـن جديـد . رحلـتي المكوكيـة بـين القريـة والمدينـة جنيهـين! همـا وبعـض نصـائحه الإرشـادية الـتي تشـعرني بـالعجز والضـعف، وتـردُّني إلى مرحلـة الطفولـة، كـل مـا اسـتطاع أبي أن يحشـده لي مـن إمكانـات أمـس لكـي أبـدأ رحلـتي الشـهرية، ولا أدري إن كانـت المدينـة مـا زالـت تحتاج إلي أمثالي أم لا.

حاسـب علـي فلوسـك، ابعـد عـن صـنف الحـريم، ابعـد عـن الزحمـة، ابعـد عـن السـيارات، ابعـد، ابعـد.. ومـا زال أبي يسـرد لي قائمـة المحظـورات، و الممنوعـات حـتى شـرد ذهـني بعيـداً... بعيـداً... المدينـة، شـوارعها الطويلـة الواسـعة، مبانيهـا الشـاهقة، وحاراتهـا الضـيقة الملتويـة كشـق الثعبـان، السـيارات، أشـكال وألـوان، الحـريم علـي كـل لـون وبكـل المقاسـات، دور السـينما والمسـارح و...

و... حكايات أصدقائي المترفين جعلتني أتوق إلى لياليها الدافئة، و لكن ما الذي يدعو بنات المدينة أو حتى الرجال إلي الالتفاف حولي؟ إن مظهري لاينبيء عن شخص أسطوري، كما أنني لست ممثلاً أو ولياً من أولياءِ الله الصالحين، و لاأرتدي حُلَةً من الأوراق المالية تجذب اللصوص وعشاق المال، ومازلت أبحث عن أسباب هذه القائمة الطويلة من المحظورات، و الممنوعات حتى أعادني صوت والدي الأجش إلي الحوار مرة أخرى، فطمأنته على تنفيذ وصاياه؛ فربت على كتفي ودمعة حائرة ما زالت تتعبد في محراب عينيه، انفلتت تكمل بقية مناسكها في خشوع؛ فأشحت بوجهي بعيداً... بعيداً عن الدموع.

(مساءاً)

ليس أقسى على الإنسان من الشعور بالخوف و عدم الأمان، يقيد هذا الشعور من يتحمل عبء ستة أفواه لا تكف عن الطعام والشراب، ستة في هذا الزمن الصعب، أكبرهم أنا و

أصغرهم في نهاية المرحلة الإبتدائية، من يتخلف عن وجبة عليه انتظار الأخرى، علَّمنا أبي "أن الصبر مفتاح الفرج، وأن بعد العسرِ يسراً" ليلي نهار، ونهاري عذاب، نعم يا أبي فأنا أعاني مثلما تعاني، وربما أكثر؛ فقد أنهيت دراستي و ما زلت عبئاً ثقيلاً عليك، كنت أعتقد أنني سأعوضكم عن سنوات الحرمان والعذاب، ولكن هأنذا، لا أملك من أمرِ نفسي شيئاً، وقد تظل أجيراً إلى الأبد يا أبي.

(صباح 14)

الصباح في بلدنا له طعم آخر، الخضرة في كل مكان، الفلاح وزوجته، وأولاده – من النجمة – في الأرض، العصافير تغدو خِماصاً وتعودُ بطاناً، بنات الحور يملأن أقداحهن ويغسلن ثيابهن، يرقص الزرع، وينعم الناس بنسمات الربيع الطرية.

عادة ما أمشي واضعاً يدي في جيبي لا أقصد التِيه أو الدلال إنها عادة لا أكثر ولا أقل، التقيت بها؛ تغيرت مشيتي،

ارتعشت يدي، تناجينا واختلسنا من الزمان لحظات شهية؛ أشعلت في نفسي نيران الهوى، وملأت نفسي رعباً من القادم المجهول.

أمام شباك التذاكر الكل يدفع، دسست يدي في جيبي باحثاً عن ثمن التذكرة، دخلت دورة المياه، خلعت ملابسي قطعة، قطعة، رجل هَرِم تغطي نظارته السوداء نصف وجهه طلب مني عبور الطريق، والوصول إلى الشجرة الرابضة منذ سنوات أمام منزل(الحاج توفيق) وزَيَّن حديثه بالدعاء لي بطول العمر، وسعة الرزق، و... آآآه ... لم أغادر قريتي، اللصوص في كل مكان يا أبي في القرية، في المدينة، في الشارع، في الحارة، في كل مكان يا أبي.

اختلطت الأمور برأسي، تشابكت الموضوعات وتشعبت، الطريق طويل أمامي، الدموع شوك يفترش طريقي!

جنيه واحد لا يسمن ولا يغني من جوع ، هو كل ما تبقى معي واحسرتاه! إلى هذا الحد يتحكم المال في الناس، يغير نفوسهم و أخلاقهم؟

في هذه اللحظة بالذات تذكرت قول الله تبارك وتعالي {إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ}.

لفت نظري التفاف الناس في منتصف الطريق حول شخص ما، في البداية اعتقدت أن حادثاً قد وقع، وأن محاولات الإسعاف والعلاج تجري على قدم وساق؛ خاب حدسي لما اقتربت كثيراً؛ كان هذا الحشد حول (عم قطب) بائع الجرائد؛ فعادة ما يلتف الناس حوله يقرأون، ويشترون المجلات والجرائد، ويتبادلون أطراف الحديث حول أهم أحداث الساعة محلياً ودولياً، سال لعابي لالتهام أكثر من مجلة وجريدة.

ابتلعني التردد والخوف فترة طويلة، لاحظت خلالها ضيق(عم قطب) وتأففه، ابتلعت ريقي عدة مرات:

. الجريدة من فضلك.

. اتفضل يا سيدي.

في هذه اللحظة تراءت لي صور أفواه تمضغ الجوع، وتنفث مرارة الحياة (ضربوا الأعور على عينه، قال:خسرانه... خسرانه) :هكذا علَّقت!

أخذت الجريدة وقبل أن أنصرف تناهى إلى سمعي صوت أحد المسئولين منطلقاً من الراديو الموجود داخل الكشك الخشبي:(أن الحياة تبدأ بعد الستين).

تغيرت خيوط وجهي، وانطلقت مني ضحكات هستيرية أصابت الناس من حولي بالريبة والشك.

الحياة تبدأ بعد الستين! كيف ؟ و لم يبدأها بعد من هو دون الثلاثين!

انسلخت من بين الجموع وقد هدَّني التعب إلى الطريق الموازي للترعة، تكوَّمت أسفل الربوة التي كنت أجلس عليها، طويت الجريدة، ورُحْتُ استرجع أحلام طفولتي طبيب، بنت الحلال، بيت حقيقي مكوناته أي شيء آخر غير الطين والحطب و ... و ... أحلامي تنهش في لحمي و عظمي من جهة، وأحوالنا المادية التي لا تسر تضغط على أعصابي من جهة أخرى، أنهكني التفكير واليأس، سويت الجريدة بطول الجسد المنهك... و نمت في الأربعين .

لم أعد قمرك يا أبي - دينا ريحاني

أنا مجرد جبانة أو ربما فقط خائفة أجل،خائفة وضعيفة فأنا الفتاة هنا والجميع سيلقى اللوم علي، فنحن في مجتمع القيل والقال إن أخطأ أحدهم صار علكة في ألسن الناس، فما عساي أفعل غير أن أخفي همي في قلبي و حتى إن تحدثت سيشرون بأصابعهم قائلين: هاهي التي ألحقت الفضيحة بنفسها وأهلها لذا إلتزمت الصمت، الصمت الأبدي.

أنا مجرد فتاة عادية في الخامسة عشرة ربيعًا، لكن لا أظنني في ربيع عمري بل في شتائه، حيث إبتسامتي سرقت مني في ليلة ماطرة، ضحكاتي إقتلعت كشجر بعد عاصفة هوجاء وأصبحت ذابلة بعدما كنت أنادى بالجميلة الفاتنة لشعري الأشقر الطويل، بشرتي البيضاء وعيناي الزرقاوتين. قال لي والدي ذات مرة حين حملتك أول مرة علمت أنك ستكونين آية في الجمال لذا لم أجد إسما يناسبك سوى

"قمر"، أنتِ قمري، أحب أن يناديني بقمري أو مدللتي لأنني أصغر إخوتي، أحب والدي جدا و أحترمه و لكن في كل مرة أنظر إليه أشعر بالخزي لإخفائي عليه سرا كهذا، وأحيانا أشعر أن عيناي ستفضحاني، لكني كنت خائفة و لم أستطع أن أخبر أحدا ما خشية الفضيحة، لذا كل ليلة أبكـــــــــي حظـــــــــــي العاثر، مر قرابة العام على نكبتي و لكن لازلت أتذكر كل تفاصيلها. كانت لي صديقة أعتبرها كأخت لي صديقتي الوحيدة، كنا دائما ما نزور بعضنا و يوما دعتني للمبيت عندها، والدي لم يعترضا أبدا لأنهما كانا يثقان بوالديها وخاصة أنها لا تملك أخا فقط أخت في التاسعة من عمرها. تحدثنا، سهرنا شاهدنا أفلاما وأكلنا، و لكن لم أكن أعلم أن تلك الليلة كانت آخر ليلة أكون مع صديقتي فبعـــــد منتصف الليل شعرت بالعطش الشديد و بشعور غـــــريب داخلي ولكن لم أهتم لذا ذهبت للمطبخ لشرب بعض الماء، وبعد إنتهائي شعرت بأحد خلفي، كان الظلام شديد ما عدا

ضوء خافت من الثلاجة، شعرت بنسمة باردة و برعشة في سائر جسدي، أعلم أن بيتهم ليس مسكون و لكن خفت

– آسماء، هل هذه أنت؟

سألت ولكن لم أستدر، وحين لم يجبني أحـــــــداً ممـــــــا زاد خوفي أكثر... وأكثر.

– أرجوكِ لا تخيفيني.

قلت وإستدرت، ولكن لم أجد آسماء، بل جسد ضخم، كان والدها.

– آآ... آسفة، شعرت بالعطش... قلتهـــــــا مترددة، ثم أدركت أنني لم أكن أضع حجابي لذا إستأذنت لأذهـــــــــــــب مسرعة ولكنه أمسك بيدي.

– إلى أين؟

– س... سأذهب.

– أتعلمين أمرًا، تبدين جميلة جدا بدون حجابك.

بدأ ينظر لي بنظرات غريبة من فوق لتحت مما زادني خوفا، حاولت أن أفلت منه ولكنه كان أقوى مني.

– هل ممكن أن أذهب الآن؟ أتركني

و لكنه لم يفعل بل فعل أكثر من ذلك، أمسكني وضمني إليه، رعبت و تملكني الخوف أردت الصراخ ولكن أحسست بشيء في عنقي يمنعني.

– آرجوك... أتركني.

و لكنه لم يستمع لي،أفلت يدي بصعوبة منه وركضت نحو باب المطبخ، وحين ظننت أنني سأخرج أمسك بي مجدداً كان خلفي، وضع يدا على فمي و بدأ بالكلام بصوت تملؤه الشهوة مما جعلني أشعر بالإشمئزاز.

– صغيرة السن ولكنك جميلة جدا فكيف لي أن أتركك!

بيده الآخرى أخرج شيئا من جيبه ووضعه على فمي، كانت قطعة قماش، طوق بها فمي؛ ليمنعني من إصدار أي صوت... حينها علمت أن عالمي سيهدم وأنا لست بفالعة شيئًا، حاولت و حاولت و لكنني لم أقدر على دفعه فقد كان ضخما ذا بنية قوية ولم أقدر على الصراخ كل ما أحسست به هو يديه الغليضتين فوق سائر جسدي، و كذلك دموعي التي تنهمر من عيناي دون توقف، كيف له أن يفعل بي هذا؟ لم يراعي صغر سني ولا أنني إبنة صديق إإتمنه على إبنته، حاولت مرة آخرى أن أفلت منه ولكن من غير جدوى وكل ما كان يدور داخل ذهني شيئان: عالمي تهدم وضاع مني أعز ما أملك. يا الله مالذي سأفعله؟ لم أرد أن أستســـــــــــــلم ولكن كان هو القوي وأنا الضعيفة، لم أدري متى توقف ولكني أردت أن يتوقف قلبي لحظتها.

– من الأفضل لك ألا تخبري أحدا لأنهم لن يصدقوك.

قال لي ذلك ثم ذهب وتركني ملقاة بين الظلام، ضـــــــــــممت نفسي لعل الألم يختفي، أغلقت عيناي لأستيقظ مـــــــــــن هذا الكابوس وحين فتحتهما علمت أنه الواقع، واقعي الذي تحطم ولا أدري ما أفعل؟ هل أسكت أم أخبرهم ولكن هل سيصدقونني؟ بعد مدة ذهبت للحمام... رأيـــــــــت إنعكاسي لم تكن أنا! منهكة، حزينة بوجه باهت، كدمات ستذكرني بهذه الحادثة لمدة، وعينان خفـــــــــت بريقهما، أصبحت جسداً بلا روح أصبحت كوردة ذابلة تحمل لقب"مغتصبة".

تعويذة الحب ـ أسماء عقوني

فتحت الكتاب... من أول السطر كلمة الكاتب... اليوم وفقط ملكك...لا الغد ولا الامس اذا إستيقظ وسلم على الشمس... ولأننا لا نختار ان نوجد يبقى لنا فقط الحق أن ندافع على هذا البقاء .

الحب يخلق الاسئلة... يجعلك تقف امام نفسك تنسج الحجج الواهية فقط للقاء... هكذا ستستمر في الهروب بدون ان تغادر.

قلبت الصفحة

التعويذة الاولى.

لا تكسرو القلوب لانها لا ترمم بل تصبح ركامًا من الاحزان.

"تقدمت بخطوات صماء نحو المرآة لأيام طوال وهي تجمع أحزانها المتناثرة وتتكىء على جسد لايزال يقاوم، اقتربت وهي

تـرى انعكـاس روحهـا... تتـنفس بعمـق كـل هـذا الأكسـجين ولم يمنحها الحياة.

لــن تكــون عاشــقًا الا إذا تخليــت علــى ذلــك العقــل الســميك بطبقاته المتراصة من العند

والا ستظل في رواق الإنتظـار بـين هنـا وهنـاك، تقـترب لتبتعـد لـن ترضـى الا اذا تألمـت كثـيرًا، بعـد أن تنـزف اشـتياقًا سـيلتئم الجـرح، لكـن الندبـة لـن تـزول، يمكـن ان يوهمـك عقلـك بأنهـا وشـم جميـل يــزين قلبــك، أو يكــون اكثــر واقعيــة ويقنعــك بأنــه العقــاب المناسب إلى الاعودة.

لهذا اجعل لـك متسعًا قبـل ان تقفـز فـوق هـذه الفوهـة ،هـي تبـدو مغرية بكثير من البريق والدفء، لكن الاقتراب يعني الاحتراق.

أصبحت أهذي من فرط الاشتياق...الن تعود!

الهـذا الحـد كانـت الضـربة قويـة لتختفـي في الا فـق... وتنسـيك طريق العودة؟

لم اكن انظر للساعة في وجودك كانت تكفيني تحية صباحية منك؛ لتشرق شمسي و يكون اليوم رائعًا بتمنياتك لي بالنجاح.

اول ما ادمنته في غيابك هو تامل الوقت الذي يسحبني خلفة ببطء، طلبت منك ان نغادر معًا هذا العالم، ان نعد سويًا عدا عكسيًا ونتبخر لنصبح سحابات تتقن البياض وتبتسم للشمس وتمطر غيثًا لايام الشتاء، ان يكون عناقنا يزين السماء

لكنك تظن انك ستهرب بادعاء الصمت بهذا الاختباء... أنت لا تملك الشجاعة؛ لانك ترى المغامرة مجازفة ليس عليك الدخول فيها.

كيف له ان يقترب وهي تبعد عنه بملايين السنوات الضوئية؟ يراها بعيدة كالنجوم، هو يقترب ليزيد ابتعاد، نجمة مضيئة يصبح جنون التحليق لإلتقاطها.

قال: انت تثبتين لي انني انت لكنك لست لي...كم تصعب عليها ان تتقن فلسفته في الحب لتفهم... يجب ان تهرب من منطق العقل لأن اجاباته ليست في صالحها.

نفكر في حياتنا ونركن من يحبوننا جانبًا عندما نقرر ان نختبيء وراء اعذار سخيفة، الخوف والارتياب، التردد والضعف كلها إدعاءات لنخفي أنانيتنا ظنًا منا ان هذا في صالحنا معا؛ لاننا لا نناسب بعض مرة اخرى، بهذا الوهم نتحول الى خارجين عن قانون الوفاء .

التعويذة الثانية.

اللقاءات هي بحثنا اللاواعي عن الحب

عندما أتذكره تتراقص الأحلام بداخلي، لكنها لا تدنو من التحقق بقدر جرأتها في الظلام، ترتعد خوفًا وتختبي في النسيان.

كنا معًا لم يفصلنا سوى الصمت والعند... مزيد من الأوراق الملقاة تكثر الخربشات وتبدو أفكاري متكسرة لا تربطها تلك

اللمعة... الخيبات تجعلني اقوى... هذا ما اجده في سطور مكتبتي المكتظة بحكايات ملونة... بينما الحياة تجعلك في إختيار بين البياض والسواد.

تحدث نفسها دائمًا، اظنني بدات أفقد صلابتي التي لفتني بها كلماتي لسنين، عندما أتلعثم من داخلي وتصبح بيني وبين نفسي مسافة ادرك أني في خطر... أخاف كثيرًا من أنايا المترددة؛ لهذا نبقى في سجن الممكن المستحيل ... الحياة إختيار... هي عاطفة تتعقل.

التعويذة الثالثة ...

الحب إحتياج

الكلام له سحر... والمدون منه في كلمات يجعل السحر لا ينفك.

ليصبح تعويذة نقرؤها وننفث فيها بنفس من ذكريات... استغرب نفسي عندما تفتقد ما لم يكن لها... ان ننسج في

السراب آلاف القصص... نكبر داخل الكلمات... في كل مغامرة ورقية احتاج ان نأخذ نفسًا واقعي عميق تتسرب فيه مفارقات وأكاذيب مخلوطة بعبق العاطفة، هي تستهوي الموجودين هنا.

ثم اغمض عينايا وأرتب دقات قلبي؛ كي لا اضطر إلى أن أفارق عباراتي لضرورة بيولوجية هي التنفس، كم تمنيت ان أكون كائن من نور يكتفي بالضوء لكي يحيا... في كل تنفس لي اعجز عن الابتعاد عن الواقع.

لكن في عالم الورق أصنع أبطال من حبر تندد وترفض ، اخوض حروفًا في اتساع البياض، في كتاباتي أسكن بيوت الكثيرين وأعبث بخواطرهم، أبني أحلامهم وأقف أمام خيباتهم، أنا من تراقصت فرحًا لاكمال قصصهم.

أبكي معهم في نهايات يلفها الفراق، أذرف حبرًا يكفي لاقول وداعا لخيبات العالم.

بهذا الاختباء بين الأسطر، ظننت انني بخير بدونه... لن اكون بخيرطالما كنت أقول لنفسي هذا... أضمني وأتنفس بعمق.

الإحتياج يفوق الحب بكثير، ربما نحب لإننا نحتاج من يسمعنا من يلتف حول جراحنا لتلتئم بسرعة، من يجعل أيامنا تخرج من رتابتها، لهذا من يحتاج الحب يبقيه هكذا متلهفًا للإهتمام... لكن لا أحد يسمع هذا الأنين بنوتات منظمة.

النبض من يبقينا أحياء ومتألمين، لأننا نكتفي بالصمت والمغادرة أمام صفعات متتالية من الإهمال نستفيق من وهمنا المشروع.

لكنه كان حب ولد ميتًا... ربما كان تعويذة... هل الحب لعنة يجب ان نفكها؛ لنشفى بها اوربما نشفى منها!

أغلقت الكتاب بسرعة بعد صراخ امها:

-أمنية أينأنتِ؟ لا تقولي انك مع كتابك الجديد هذا! الكتاب سيصبح سببًا في أن تمرضي، منذ الأمس وأنتِ معه لم تنامي، هكذا ستتضر عيناك

-تبتسم امنية... لا تقلقي أمي أنا معه سأكون بخير .

-مع من ستكونين! أنت مجنونة حقًا بالكتب يا بنتي.

أمنية عاشقة لعبق الحبر... لم تكن تؤمن بالصدف، كانت إنسانة قدرية ترى أن هناك أسبابًا خفية عنا تجعلنا نلتقي ولاننا ضعفاء وأصغر حجمًا من الكون نقنع أنفسنا بحماقة تسمى الصدفة... فتاة تتصفح عالمها ببعض مايهمها من تفاصيل... عائلتها طبعًا اولوية وتبقى أمها رفيقة الدرب.

ترتشف يومها معبقًا بقطرات الندى، و تمضي إلى قدر تجعل له مايستحق من الإستعداد، بداخلها طفلة تزداد جمالاً بخيوط الصباح فهي من تبث في وجنتيها الإشراقة، ويجعل تغريد

العصافير روحها تتراقص فرحًا... هي تهدي الصباح قبلة وتجمع خيوط الشمس؛ لتنسج بداية يوم مضيء.

من الأمس لم تفتح التعويذة كانت امها متفرغة لمراقبتها.

– لديك امتحانات مهمة، لا أريد أن أراكِ مع كاتبك المجنون.

كانت... تستجدي الصباح لتقابل أسطره الساحرة، خرجت بتوصيات من والدتها... بأن تركز في امتحانها وقبلة الأم شفاء.

فتحت كراسها بعدما ركبت في الحافلة ووجدت مكاناً، كان أجمل مافي الصباح الباكر انه ينتقي المستيقظين، قلبت الصفحات؛ لتستذكر قليلاً قبل الإمتحان لكنها لم تكن مع معادلاتها الرياضية، بل دست يدها في محفظتها لتخرج صاحب المتاعب كاتبها المتمرد... معه تصبح للحروف وظيفة اكبر غير التي يعرفها الجميع.

فهي تحس انها موجودة معه بتوقيت الحرف، لما تلامس حكاياته المدونة شغفها... معه هي تبحث عن كلمات تتسع لما تريد وما ينبغي أن يكون يطل بين الكلمات؛ ليجعلها تبتسم... كم احبته! بطل بعبق الحبر يستعمر هذا البياض... رغم انه يكبرها بقرون الا إنها ترى انه شاب يحمل في صدره قلبًا لايهاب، ينتفض ويرفض... فتحت الكتاب على زمان ومكان تواعدا أن يلتقيا فيه ورقيًا، حكاية طفل كبر مبكرًا أين قرر أن يغادر لرحلة طويلة؛ ليبحث عن حقيقة وجوده فكانت كتاباته كلها تعيش دواخلنا المكبوتة.

التعويذة الرابعة

لا تنظر خلفك لان لكل منا مايغريه للعودة... ويجعله يضيع عمرًا في الندم... لا أحد يهتم لك صدقني كن أنت محور حياتك وابدأ في جمع أمنياتك وحقق في انفاسك ونبض حياتك القدر المستطاع.

كم أحبت أمنية كلمات ساحرها المفعمة بحب الذات! كانت تراه صادقًا وواضحًا لا يتجمل بعبارات الإيثار ولا يدعي انه يعيش للأخر... هو يحاكي انانيتنا بدقة، شفافية الوصف تجعلك لا تضيع وقتا في حسابات البشر السخيفة.

"تكمل التعويذة الرابعة"عزيزي لا تقرر المغادرة لا تفكر بالإختباء لا تكن مع القطيع ... جد لنفسك مكان هنا بداخلك... كن انت ... بعدها لن يكون للموجودين أثر سترى أنك وصلت او ربما ولدت للتو...لاننا وجدنا لنبحث عن أي شيء نحن"

لهذا كانت لا تحمل معها سوى كتبه ،أحبت فلسفته في الحياة، كان عازف ماهراً على أوتار القلب... رغم انه لم يتحدث عن الحب الذي نعرفه بين المرأة والرجل في مؤلفاته العديدة، لكنه جعل للأنا كل المكان هي من يجب ان نرضيها لأحد آخر.

و من هنا يبدأ الحب... عندما تتصالح مع نفسك"... لهذا هو يعيش في كل زوايا مكتبتها، معرض الكتب تراه موعدا معه لا يمكن ان تفوته لان طلته تغير الكون...كانت تخفي كل خيباتها داخل كتبه تدس قلبها بين الاوراق لم يرى احد دموعها حتى صديقاتها ينادونها بالجافة هي لا تبكي الا معه وبه تعود ابتسامتها.

التعويذة الخامسة..

" لا يوجد قلب خال من الحب لكن المقدرة على الغفران هي من تميزنا عن بعض، هي من تحدد استمراريته على قيد البقاء. "

حدقت طويلاً في هذه العبارة، كان أول مرة يصرح به ويكشفه عار من دون تملق ولا تحايل... نعم قالها الحب لكنه كعادته هرب من الباب الخلفي ليقول... ليس الحب هو مايجمع قلبين بل هو مايجمعك وأناك من يضمك

ولا يمل ... هو أنت... نعم أنت

-يا له من ساحر يتمتم لك بكلمات لتشفى...كيف له ان يحاكي تفاصيلنا بهذه الدقة

تكمل التعويذة... عزيزي القارىء نحن لن نلتقى لكن مايدون هنا سيجعلك ترى نفسك بوضوح اكبر... نحن لا نرى الا مايراه الآخر عنا، لا نثق في جمالنا الا في عيون العاشقين لنا، لا نصدق الا ما يقال عنا وكأننا لم نكن من قبل، لا نتاكد من وجودنا الا اذا أصبحنا مهمين لدى احدهم، إهتمامه و سؤاله الدائم عنا يبقي مابداخلنا يزهر لهذا نذبل و نموت مع اول غياب.

اذن تعلم ان تروض قلبك على ان يقفز فوق وهم الآخر لأن أي علاقة تدوم هي تتغذى بالصمت والغفران ... ومع الوقت يقتل أحد المحبين، يقتل من يرضى أن يكون قابلاً للكسر والجبر، مليء بالدموع الصامتة ببطء ينزف وجعًا

وكتمنًا؛ حتى تموت بداخله العاطفة ويصبح لا يراك لا يحسك ولا تعنيه كلماتك وجودك من غيابك... هنا لن نرجع كما كنا نعانق روحنا بصدق سنحمل بداخلنا ماتبقى من اشتياق وندم.

الموت ليس ان لانرى مجددا من نحبهم... بل أن نحس بأننا لانشبه داخلنا، هكذا نبقى بين لهفة الإنتظار وغربة الذات... الموت هو أن نصبح غرباء عنا... أن تبقى رسائلنا معلقة في النبض؛ ليتسارع بداخلنا وتتناثر الكلمات ويكبر الخوف ، كلما مرت دقائق الصمت والإهمال نخاف لإننا موجودون خارجنا هكذا سنتأذى مع أول غياب.

التعويذة السادسة

أن تنسى وتتجاوز أنت إذن قابل للحياة.

اذا كنت لا تتقن النسيان فلا داعي ان تفتح قلبك لان ذكرياتك ستنحت بداخلك، وستحتاج إلى ان تولد من

جديـد... بقلـب خـالٍ لانـك لـن تقـوى علـى تحمـل أنـين الذاكرة.

فكـرة أن نعـيش بقلـوب معلقـة مخيفـة، يبـدأ الأمـر بلقـاء وينمـو معـه الاشـتياق، لـن تكـون بخـير طالمـا انـت متعلـق بأحـدهم سـتتأرجح بـين اللقـاء والغيـاب، سـتحبس بـين أنفـاس اللهفـة واختنـاق الإنتظـار... سـيقتلك الوقـت وبـدل أن تكـبر بأحلامـك سـتغمض قلبـك؛ علـه يغفـوا قلـيلاً ولا يهـذي باسمـه مجـدداً، لهـذا يحـب أن نبقـى أبـواب قلوبنـا مغلقـة؛ ليسـهل علينـا أن نتجـاوز الفراق.

-استفاقت على نـداء السـائق مـن ينـزل هنـا محطـة حـي الاحـرار. أغلقـت الكتـاب بسـرعة ورتبـت نفسـها وسـارعت بـالنزول... الحياة بالنسبة لها أن تسلم على الزهور عندما تلامس الشمس.

أكملـت امتحانهـا رغـم ان الرياضـيات لـيس مـادة مفضـلة عنـدها إلا إاها لا تتنازل عن تفوقها.

لطالما أحبت نفسها، بتوازن يجعلها ترى أن السعاده حق للجميع، لذا يجب أن نكون الأفضل لأجلنا، والأجمل في عيوننا الحياة تختارك لتوجد، لكن انت من تجعل هذا الوجود حقيقيًا بما يكفي، لتكون راضيًا عن أحلامك التي تتحقق يومًا بعد يوم... لم تنهي كتابها "تعويذة الحب " أرادت أن تكشف سر هذا الساحر الباحث عن الحقيقة عن سر السعاده...عن الأنا.

التعويذة السابعة

لا تنتظر من قرر أن يتركك... لأن من يرحل يترك قلبه هناك

متى تعرف؟ متى تعرف أن وعود الحب تتبخر عندما تلامس صلابة الواقع، فور انتهاء المحادثة بيننا نتحول من كائنات نور إلى أنانيتنا المعهودة،لان هذا التعلق ليس سوى عطش يغريه بريق السراب.

متى تعرف ان وجودك الدائم لم يكن سوى ارضاء لنرجسيتك المتفاقمة؟

يجعلك التأمل لفراشاتك المحنطة على جدار قلبك تشعر باتساع في نرجسيتك،أما تفضيلك لي كان مؤقتًا لانك جئت لتغادر كالعادة، سيكون لماضيك تلك السلطة التي تبقيك هنا رغم انك تدعي النسيان، تبقى لعنة حماقاتك السابقة، تلاحق حاضرك الملون بالاكاذيب... لا تحلموا بعودة القلوب الخائنة، لاتحلم أن تلملم بقايا قلب تناثر في أحضان الكثيرين ؛لان جمع هذا الشتات يحتاج لخارطة حياة يحتاج إلى زمن سرمدي لتفهم رحلاته وعبثه القديم، لاتحلم أن تجمع ملامحه وتنفخ فيها بنفس من حب؛ لتعود له روحه فهو تعيشه مئات الحكايات بدايات لقصص كثيرة نهايتها سراب لذا هو لا يملك سوى أن يبقى مبعثراً

لاتحلم... لأن القلوب المتناثرة لاتعود بعد رحلتها نحو الحب، هي اما تستقر هناك أو تموت للأبد، ماتراه هو جسد فارغ من

الـروح... بقايـا عاطفـة... لـذا لاتحلـم ، لأن الاحـلام وجـدت لتنسج في الظلمة وتتبخر مع خيوط الضوء.

ليـت كـل الوعـود تعـيش... لكنهـا تمـوت جميعًـا علـى عتبـة الكذب المنكه ببريق العيون.

ولاننا نحلم لا نفكر... لذا استيقظ ولا تحلم أكثر.

التعويذة الثامنة....

اذ احببـت روحـي فحبنـا سـرمدي؛ لأن الأجسـاد لقائهـا قابـل للنسيان.

سـالته... هـل يـوم أهـرم وتسـكنني تجاعيـد الحيـاة ويصـبح لـوجهي تضـاريس جديـدة هـل سـأظل خارطـة حياتـك كمـا قلـت لي دومًـا؟ هـل يعنيـك مـا يسـكنني تجاهـك كمـا يعنيـك صـفاء عينـاي ولـون الغـروب داخلهمـا، الـذي يجعلـك تحبـني اكثـر و ثغـري الباسـم لرؤيتـك، وكـل مـا مـني يظهـر، هـل سـأظل الاقـرب حـتى وان اصـبحت لا اقـوى علـى ضـمك بيـدين قـويتين بعـدما

أرهـق جسـدي بجرعـات الـدواء المسـتمرة... أسـال لأنـني لا أملـك أن ابقـى كمـا أنـا... ألح علـى سـؤالك وأخـاف مـن أن تقـول لي مجاملة نعم.

لا تقلقـي عزيـزتي، لـن يحصـل لـك شـيء،لأن الأحـرى أن تقـول لي الــروح مــن تحــب، و المهــم أن تبقــى روحــك بخــير هكــذا تأكدت إني معك قابلة للنسيان.

التعويذة التاسعة

لإنــك معــي تســمع نبضــي احبــك تعــودت ان اســتفيق علــى صباحاتك

أحبـك لأن الحـب تعـود لا أكثـر... لـيس الا نوتـات متتابعـة مـن الإهتمـام؛ ليـتراقص القلـب ويعلـو النـبض ومـا بـداخلنا يتبعثـر بعـدما كانـت لا تثيرنـا موسـيقى الوجـدان... نـدمن حبًـا معـك يكـبر الحــب هــو أن أجعــل يــومي علــى مقاســك، و هكــذا

أناسبك أكثر، أن أتعلم الصبر لدقات الوقت البطيئة وهي تعاندني وتجعل اليوم مملاً يتكرر

هو أن أعاقب نفسي بالصمت عندما أراك منشغلاً عني، ظنًا مني أني أعاقبك أنت، ولكني من نفسي اثأر...الحب هو أن أرى اني معك بدون تفاصيل البشر، دون مفارقات وخدع وحيل و تستر... بك اتأذى أكثر من عبثك بي، دوما من تركي وحدي من جعلي كائن يثرثر... من راسي المشغول بك وحدك فيك افكر... ولما اقرر بأن اثأر أجد نفسي أقترب أكثر، الحب لعبة يربحها من يتقن اختيار الوقت المناسب لكل شيء البقاء الإختباء أو أن يخفي ويتبخر.

الجميل في عالم الوجدان هو هذه القصور والأمراء والابطال اللذين يظهرون هنا ويختفون في الواقع، الرائع هذه المساحة من الخيال الممزوج بقطرات من الحقيقة وافتراض لصور، لان الحب تعود لا أكثر.

التعويذة العاشرة

إلى أنا...

نكتب لننسى آلامنا و بقايا من احلام لم ترى النور، نحشوها في هذه الكلمات، نحاول إخفاء ضعفنا ونرسم ابتسامة مصطنعة لنكمل بها يومنا، بقدر الاختباء نشعر بالطمئنينة في هذه الظلمة حيث لا يصلنا أحد، أو ربما نكتب كي نبقى عليها قيد التذكر، حيث يستفيق النبض كل لحظة على ايقاع الكلمات المدونة، الخوف من النسيان من أن نتوه في حاضر بلا ملامح من نحبهم ... الى انا... نحن لا نختار أن نوجد لكن لنا أن ندافع كي نستمر هنا.

الى ذاتي المتمردة ...حسنا... لنعقد اتفاقًا سيكون هدنة أكف فيها عن جرك ورائي إلى خيبات متكررة... وسأركك تتكلمين بدل إسكاتك... في كل مرة أهرول نحو السراب سأجلس بالقرب منك بدل الإبتعاد المتكرر... وإدعاء انك لا توجدين.

لكنك في المقابل ستعيديني بأنك ستبقين هنا، ولن تموتي لأبقى وحيداً، لن تيأسي من حماقاتي المتكررة وستضلين مستيقظة لانقاذي في كل لحظة طيش لسحبي من سقوط أكيد.

إلى أنا...كم ندعي اننا وحدنا من نقرر التواجد... البقاء أو الإختباء بهذه الشطحات نبتعد شيئًا فشئًا،حقا نحن هنا في انعكاس المرايا ولكننا لسنا معا، سأحاول أن أراني دون هذه الصور التي لا اجتمع فيها روحًا وجسداً، أبعد مكان هو انعكاسي هنا دون أي وجود، نكتفي بتراكم هذه الملامح وتنميق زائد يشعرك بالغربة؛ لنبحث بعدها عن حقيقتنا، التي تفقد ذوقها لأني بدوني هنا.

كم هي منسية هذه الذات هي تحترق في صمت!

كم تسائلت هل نحن فعلاً أقوياء بما نكتمه داخلنا من خوف وتعاسة!

الخـوف يجعلـك تبتعـد بسـهولة نختـبيء؛ لأننـا خلقنـا بأجسـاد تخشى الظلمة.

إلى أنا...

الحب هـو أنانيتنـا الـتي نخجـل مـن التصـريح بهـا؛ فنجملهـا بأشـرطة حمـــراء؛ لتبـــدوا مغريـــة ومنمقـــة ... بقـــدر الحـــب يكـــون العقـاب...لن نتـأذى الا اذا أحببنـا كثـيراً؛ ليصـبح الخطـأ لا يغتفـر بسـهولة أو لا يغتفـر ابـداً ... الحـب هـو هنـا لكننـا نخجـل مـن التصـريح بـه لا نقـول أننـا نحـب ذواتنـا أولاً وأخـيراً ونحـب مـن يجعل هذه الذات تغفوا على شرفات الحلم .

إلى أنا...سـنبقى هكـذا نحلـم بـأن نلتقـي يومًـا مـا... لقـاء جديـد لـن يحـدث ابداً...وبعـد أن تكمـل العشـر تعويـذات ستصـل إلى ذاتـك الـتي هـي وحـدها مـن تفـك تعويـذة الحـب بمعادلـة سـهلة... وهـي كـن لنفسـك كـل شـيء... بعـد أن ترتـب روحـك وتحـب نفسـك بالقـدر الكـافي علـى مواصـلة نجاحاتـك لأننـا لسـنا سـوى

نتيجة اختيارتنا... وأن الحياة أجمل من أن نحزن على أحدهم... ستصل إلى أخر تعويذة بها ستصبح ساحراً... بلمسة منك تحول الخيبات إلى أماني محققة ستروض نفسك على أن لا تؤمن إلا بك.

أكملت أخر سطور التعويذة... سأترك لكم السؤال مفتوحًا لتعيشوا تجربة الإختيار هو جوابنا الفردي نتحمل مسؤوليتنا به نعرف قيمة ذواتنا وقدراتها عندما نرى النتيجة... هل نحن نعيش حياة لنا حقا أم ...؟

أغلقت الكتاب وهي تحمل بداخلها نبض السؤال... عقلها وقلبها اجتمعا لأول مرة؛ ليحدا جوابًا مناسبًا...أحبت أن تجعل كاتبها يعيش في ذوات كثيرة لذا... كتبت أمنية إهداء على ظهر الكتاب... إلى كل ذات مبدعة وتحب الحياة... كن أنت وسترى كم سيحبك الجميع... وسلمته الى مكتبة بلدتها، هذا لكي يبقى كاتبها على قيد الحياة مع كل قارىء لتعويذة؛ ليصبح عُمر ساحر الحب سرمديًا...

فالحياة هي مانعيشه داخل الكلمات المدونة.

الحجام - ياسمين الآنسي

في ساعةٍ مُتأخرةٍ من الليل, يُقرع الباب بقوة, أفتح, فإذا بهِ رجلاً طويلاً بملابسٍ ناصعة البياض, تفوحُ منه رائحة غريبة, ليست بكريهة.

– من أنت؟ ماذا تريد؟

– أنا سيف, والدي مريض, طريح الفراش مُنذ مُدة لم يستطع أحد في مدينتنا مُعالجته, لقد سمعتُ عنك كثيراً لذا جئتُ إليك.

– من أي مدينةٍ أنت حتى تأتي في مثل هذه الساعة؟

– المدينة التي في الجبل الذي خلف منزلك تماماً.

– لا توجد مدينة في الجبل, بل لا يوجد بيتاً واحداً!

تأملتُ في مظهرِهِ برهه، من يصعد هذا الجبل يسقط و يموت, حتى المواشي تختفي و لا نلقى لها أثراً, هل أنت بوعيك؟ أي مدينة!

دفعتُ الباب في وجهه: دعني أخلدُ للنوم فأنا مُتعب, لدي عمل غداً في الصباح الباكر, إذهب.

صد الباب بيده:

– انتظر لا تُغلق... أنا من مدينة الجن.

– ماذا, مدينة الجن! مدينة الجن التي يحدثنا عنها أجدادُنا؟

– أرجوك أن تأتي لتحجُم لوالدي فحالته تتدهور يوماً بعد يوم.

خفت وارتعبت ولكني حاولت أن لا يظهر ذلك علي:

– لا أستطيع المجيء معك, الوقت مُتأخر و أنا مُتعب.

– لابـد أن تـأتي أعـدُك أن لا يمسـك مكـروه, أنـت في حمـايتي حـتى تعـود إلى منزلـك سـالماً, و سـأعطيك مـا شـئت مـن المـال و الذهب.

تريـث قلـيلاً و كأنـه يُفكـر في أمـرٍ مـا: أمـا إذا لم تـأتِ معـي, و حدث لوالدي مكروه سأُريك ماذا سأفعل بباقي أولادك.

– أولادي؟

لم يكن أمامي خيار سوى الرضوخ.

أخـذتُ أدوات الحجامـة, سـرتُ خلفـه و الخـوف يلبسـني في ذلـك الطريـق المظلـم نحـو الجبـل المخيـف, قصُـرت مسـافة الطريـق بشـكلٍ عجيـب, خمـسُ دقـائق و صـرنا في أعلـى الجبـل, لم أسقط, و لكن ربما سأختفي في أي لحظة.

أووووو, نسيتُ أن أوقظ أم أولادي لأُخبرها بخروجي,

و مع من؟

لابد أنها كانت ستصرخ من شدةِ الخوف, عندها لا أدري ماذا كان سيحلُ بنا, ليتهُ كان هددني بها, كنتُ سأدعه يقتلها, يأخذها, يفعل بها ما شاء, كانت فرصة لأتخلص منها و من تهديدها لي بإخوتِها، في اليوم التالي سأتزوجُ بأخرى.

يبدو أننا وصلنا, ماذا يفعل هذا الجنّي!

يمسح على الصخرة... إنها تهتز... انفتحت, ما هذا؟

أووووه, إنها مدينة مكتظة بالناس! هل كل هذه الأمة جن؟

تسمرتُ مكاني.

– هذه مدينتُنا, تفضل بالدخول و لا تلتفت أو تتحدث مع أحد, لا تخف.

واصلت السير خلفه أُرسلُ بصري خلسة هنا و هناك.

دخلنا سوق... ما هذا! إنهم يبيعون و يشترون في الليل كما نحن في النهار, هذا السوق يشبه السوق الذي أذهب إليه و

هـذه الحوانيـت كأنهـا هـي, حـانوت الأقمشـة, الأحذيـة, الخُضـار و الفاكهة و كذلك اللحوم.

لاشـك أنهـم يبيعـون لحـوم البقـر و المواشـي الـتي تختفـي علينـا في الجبل.

لماذا ينظرُ الجميعُ إلي بهذهِ النظراتِ المريبة؟

كـلٌ يهمـسُ في أُذنِ الأخـر, لابـد أنهـم يعرفـونني, نظـراتهم تتتبعـني و أنا أسير خلف بني جنسهم.

– هــه هــذه مجنونــة القريــة "تقيــة"! مــاذا تفعــل عنــدكم؟ لقــد ســقطت مــن الجبــلِ و ماتــت... عجبــاً! إذن مــن الــتي قمنــا بدفنها؟

– لا تلتفت و لا تتحدث.

– هـه, و هـذان "محمـد و ناصـر بـن عبـد الـرحمن"! و هـذه بقـرة "رحمانـة"! أتـذكر تلـك البقعـة الـتي علـى فخـذها جيـداً, إنهـا أثـر الكي التي وسمتها به.

– قلـتُ لا تتحـدث أو تلتفـت, لا تثـيرهم عليـك فـالجميع يعـرف أنك من الإنس.

طرق "سيف" باب المنزل: أفسحوا الطريق, الحجام معي.

بيـتهم بسـيط و والـده ممـدد تحـت بطانيـةٍ بسـيطة, مـن أيـن سـيأتي لي بما أشاء من المال و الذهب؟

هاااا لقد كان يكذب.

يُقـال أن الجـن لا تكـذب و لا يخلفـون وعـودهم, إذن مـن أيـن سيفي بوعده لي؟

هـذا والـده يبـدو و كأنـه قـد تجـاوز المـأتي عـام, هـل يحيـون كـل هـذا العمر... هل يموتون و يتخذون لهم مقابرُ مثلنا؟

إنه هرم و عصبي, لو كان و الدي لرميتهُ من أعلى الجبل.

أخرجتُ الأدوات بهدوء, باشرتُ عملي و بسرعةٍ انتهيتُ من حجامته.

– أشكرك أيها الحجام, فلتبقَ لنتناول الطعام سوياً.

– لا.. لا, أريد العودة, لقد انتهيت من حجامة والدك كما طلبت مني, الآن أعدني كما وعدتني.

قدم أصنافاً كثيرة, منه ما أعرفه و منه ما لا أعرفه, لا أعلم ما إذا كان غداءً أم عشاءً أم وجبةً مستقلة.

ليتهُ كان في منزلي.

ألح علي أن أتناول الطعام معهم, أصررت على العودة, مُتحججاً بأني لستُ جائعاً و أنّا من قومٍ لا نأكل حتى نجوع.

ذكرني ببيت جدي, لقد كانوا مثلهم كُرماء.

قام ليُعيدني... دقائق و أنا عند باب منزلي, أعجوبة... طريق الجبل التي نسيرُ فيها لساعاتٍ قطعتها معه في دقائق.

ذهب و انصرف, لا زلتُ مندهشاً غير مستوعبٍ ما حدث معي! دخلت و أغلقتُ باب المنزل.

هاااه !

ما الذي جاء بهذا الطعام؟ كيف نَقل كل هذهِ الأصناف بهذهِ السرعة !

استيقظت الزوجة: هاااااه طعام! ألم تخبرني أنك لا تملكُ قيمة رغيفٍ واحدٍ من الخبز, من أين أتيت بكلِ هذا؟ و لماذا كل هذا الطعام بعد منتصف الليل؟ هاااا تريد أن تأكلهُ وحدك, أسرقته؟

أسرعت تطرق بابيّ غرفتيّ ابنها و بناتها: استيقظوا, هيا أسرِعوا لقد أحضر والدكم طعاماً, سيأكله عليكم هيا أسرِعوا.

تهافتوا كأنهم هم الجن يصيحون... طعام... طعام, عدا ابنته الصُغرى كان النومُ جاثماً عليها, جلسوا ينقضون على الطعام دون أن يغسلوا حتى أيديهم.

أخذ والدهم يروي لهم ما حدث لهُ بحماس, و كيف تغلب على الخوف و صعد الجبل و دخل مدينة الجن, و هم منهمكون في الأكل, لا أحد يُصغي إليه.

التفتت إليه زوجته: كُل قبل أن يبرد, لا تبرر سوء نيتك لقد كشفتك, دائماً تخفي المال و تتركنا ننامُ جياع.

الحجام يحدثُ نفسه (عليّ أن لا أخبر بما حدث معي أحداً, فلن يصدقوني و سيتهمونني بالجنون).

بعد يومين في نفس الوقت المتأخر من الليل الباب يُطرق قمتُ لأفتح قبل أن تستيقظ زوجتي و الأولاد.

– هذا أنت! سيف.

– لقد شُفي والدي, فأتيتُ لأعطيك ما شئت من المال و الذهب.

تذكرتُ ما حدث لـ"رقية" التي استيقظت آخر الليل جائعة, تبحث بمصباحها الزيتي في (المسعطة) عن قطعة خبز, فرأت تحت الرماد شيء يلمع, أزاحت الرماد بيدها, وجدت جنيهات ذهب, أخذت حفنة منها إلى حجرها, فسمعت صوتاً يقول: يكفي.

أخذت الثانية, فسمعت نفس الصوت يقول: يكفي.

أخذت الثالثة, فتلقت صفعة قوية أفقدتها وعيها, و في الصباح وجدت الجنيهات الذهب التي في حجرها قد تحولت إلى فحم, و ظل فمها معوجاً طيلة حياتها.

– هاا أين شردت؟ أطلب ما تشاء أيها الحجام.

– شكراً, شكراً, لا أريد شيء, قضيتُ حاجتك اتركني و شأني.

– لماذا ترفض مساعدتي لقاء ما صنعتهُ لي رغم فقرك و مرض و وفاة أولادك المفاجئ و الغريب, خلال ثلاثة أعوام واحدٍ تلو الأخر.

– ما أدراك بمرضهم المفاجئ و الغريب؟ كأنك تعرف عني و عنهم كل شيء.

– نعم. لقد توفي ثلاثة من أولادك بمرضٍ غريب لجأت إلى الأطباء و إلى الشيوخ و لكنهم لم يستطيعوا معرفة ما بهم, تبقى لك ابن و ثلاث بنات, هذا العام موعد و لدك الرابع, ستبدو عليه أعراض الحمى و طفح جلدي يتقرح منه الدم.

أدار ظهرة مكملاً كلامه: عندها لا تتأخر تعرف أين مدينتي و في أي وقت يفتح بابها الصخري, إلى اللقاء.

انصرف...

لا بد أنه يريد إخافتي, فقد أنقضى عام و لم يحدث لولدي المتبقي مكروه, لكن ماذا لو...؟

مـر الشـهر الأول, و أنـا أرتقـب, أُصـلي و أدعـو لـئلا يحـدث لولدي مكروه.

الشـهر الثـاني, الثالـث, لم يحـدث لولـدي و لا لبنـاتي مكـروه. لماذا لا يمتن البنات؟

مـا هـذا الصـياح؟ إنـه صـوت زوجـتي, لا بـد أنهـا تريـد أن اسمـع الأخبار في المذياع.

– يا رجُل خلي عندك دم, تعال و انظر ابننا الوحيد مريض.

فززت من مكاني: ابننا الوحيد مريض؟

نزلت علي كالصاعقة...

– هيـا خـذه, أسـرع و احملـه معـي إلى الطبيـب, أسـرع قبـل أن يلحق بإخوته, الحمى ترتفع, و الطفح الجلدي يتقرحُ دماً.

كانت الشمسُ قد غرُبت, تذكرت "سيف الجن" ارتديت الجاكيت الطويل و انتعلت حذائي البوت, و انطلقت نحو مدينة الجن.

– أين تذهب وتترك ابننا يموت, إنه يتألم, عُد لنأخذه إلى المشعوذ "محفوظ".

انتصف الليل, أكثر من ست ساعات و أنا أركض و أجري و لازلت أسفل الجبل, كأن شيئاً ما يسحبُ الأرض من تحتي إلى الوراء, لأبقى في مكاني.

خوفي على ولدي نزع عني الخوف من ظلمة الطريق و وحشته, القمر غائب, والأشجار الشائكة كثيفة, لا يمنعها عني غير الجاكيت الذي أرتديه و البوت الذي انتعله, لكنها لن تحميني من ذئاب و وحوش الجبل المفترسة.

غريب أشعر بها تقترب, تتربص, و فجأة تنصرف, لماذا لا تنقضُ عليّ؟

أنفاسي تتقطع من مشقة صعود الجبل و الركض بسرعة, ارجو الوصول قبل انقشاع الليل, فلن أجد المدينة إن طلع النهار.

آه, ما هذا الذي يأخذني من كتفي! أتركوني, أتركوني..

لقد وصلت, نعم هذا هو باب المدينة, لم أطرقه بعد, من الذي يفتحه؟

– هذا أنت يا سيف؟

– عرفتُ أن ولدك مريض, ادخل و لا تُحب على أحد.

أصواتٌ تتعالى وترتفع بالصياح, تعترض دخولي مدينتهم (لا تُدخِل الإنس, سيُفسِدون مدينتنا, إنهم يتحاسدون... يتصارعون... يتناحرون... يستعبدون ضعفاءنا في أغراضهم القذرة, كلٌ يُحبُ نفسه, لولا ضعفهم لبطشوا بنا, و لسحقوا الجبل جشعاً بحثاً عن المال و الذهب و الفضة).

عيون تريد أن تلتهمني بنيرانها الملتهبة.

سرت خلفه كالأبله لا أدري إلى أين, مرعوباً مما أسمعُ و أرى, متسائلاً ألهذا الحد نحنُ بني الأنس؟

سيف: لا, ففيكم أُناسٌ أخيار كما نحن, و لكن هناك صفات تفشت بينكم و تزداد يوماُ بعد يوم.

– أراك ترِدُ على أشياء تدور في نفسي, هل أنتم معشر الجن تعلمون ما يدور في أنفسنا.

– بالطبع لا, إنما أقرأ ما في عينيك, نحن أممٌ مثلكم نعيش و نحيا و نموت, منا الصالح و منا دون ذلك, و إنما ميزنا الله عنكم بأشياء فلنا القدرة على التخفي و التحول و إحضار و جلب الأشياء بقدراتٍ تختلف من جني إلى آخر.

لا أدري لمَ سكت قليلاً قبل أن يُكمل: كما أن الله ميزكم عنا بأشياء. يكفي أن الأنبياء و الرسل منكم, و منكم من له القدرة على أن يُحضِرُنا كخدم.

ليتني أستطيع قراءة ما يجولُ في نفسهِ كما يفعل.

وصلنا إلى بيتٍ صغير, طرق الباب, فتحت امرأة تبدو في منتصف العمر, حال ما رأتني, صرخت: ما الذي جاء بك؟ من أدخلك مدينتنا؟

اجتمعت الجن من حولي, أقشعر جلدي... ارتجف بدني... أنعقد لساني... أصفرّ لوني.

سيف: جميع الجن يعلمون يا "سلمى" أنكِ من يقتل أبناؤه, أعلم أننا معشر الجن لا نؤذي إلا من أذانا, فما الذي يدفعكِ لقتل أبنائه واحداً تلو الأخر.

– ماذا هذه هي التي تقتل أبنائي, و لماذا؟

أندهش الحجام.

سلمى: لستُ مجبرة على الحديث معكما, إن كان لديه شيء عندي فليذهب إلى المحكمة.

دخلت و أغلقت الباب, الجنُ تنظُرُ إليّ و كأنني مجرم أنتهك حرمتهم, يبدو و كأنهم يعرفون سبب قتلها لأبنائي.

صرخت و تردد صدى صوتي في أرجاء المدينة: ما الذي فعلته لتقتلي أبنائي؟ ما الذي فعلتهُ بكِ؟ أنا لم أراكِ من قبل, اقتليني أنا لكن دعي ولدي و شأنه, لم يتبقَ أحد من أبنائي غيره.

ركعت على ركبتيّ أبكي, انتابني شعور غريب, ضعف... غربة... خيبة أمل, ولدي سيلحق بإخوته.

حاول سيف تهدئتي, أخذني إلى مبنى كبير, يحمل في واجهته منحوت لميزان العدل, مُستوٍ... لم يكن مائلاً كالميازين المنصوبة فوق محاكمنا العاثرة.

قدمنا شكوى ضد سلمى بتهمة قتل أبناء أحد الإنس دون مبرر.

تم تحويل القضية فوراً لمحكمة خاصة بالنساء, ظللت أتلفت يمنة و يسرة و أنا أعبر ممراته.

أوه, لـديهم شـرطيات و هـذا قسـم الطـب الشـرعي كـل مـن فيـه نسـاء, جلسـنا في صـالة الانتظـار, و في ظـرف سـاعة تم اسـتدعاء "سـلمى", المحضـرتين مـن النسـاء, أخشـى أن يكـون حـالي في هذه المحكمة كحال المرأة في محاكمنا.

متعجباً سألتُ سيف:

- لم أرَ في محـاكمكم غُرفـاً للحجـز, بـل يبـدو أنـه لا توجـد سجون!

- لمـا الحاجـة للسـجون طالمـا العـدل قـائم؟ في شـرعنا إن كـان علـى الجـاني حـدٌ أقـيم عليـه, و إن كـان عليـه حـق أُسـترجع منـه, و إن أتلفـه, يُعـوِض أو يعمـل طـوال النهـار بنصـف الأجـر حـتى يوفي قيمته.

دخلنا جميعاً غرفة وكيل النيابة, جنية!

هذا الذي كان ينقصني.

استمرت في ترتيب الأوراق بهدوء, رفعت بصرها نحوي, كأنها علمت بما يدور في نفسي.

قائلة: تفضلوا بالجلوس.

بدأت الجلسة...

القاضي: القضية (.....) مع الإنس

رفع الإنسي " عُبيد ناصر أحمد" المدعو بالحجام, دعوى ضد المدعى عليها "سلمى قاسم المزوري" بقتل ثلاثة من أولاده و بالأمس تسببت لولدهِ الرابع بمرضٍ مُميت, و قد تم التحقيق معها و التأكد من صحة الأفعال المنسوبة إليها.

– هل لديكِ ما تقولينه سيدة "سلمى"؟

– نعم. أنا فعلت, لقد أخذتُ بحقي؛ لو لجأت لمحاكمهم لما استمعوا إليّ, و ربما قتلوني.

دعوني أعود معه بالذاكرة أربع سنوات إلى الوراء.

تلتفت إليّ, و من عينيها تتطاير الحمم: هل تتذكر يوماً أنك رأيت خلف بيتك قطة شديدة السواد؟

– لا, لا أتذكر, القطط كثيرة و في كلِ مكان.

شدت صوتها: كانت تتوجع تحت نافذة غرفة نومك قبل منتصف الليل, خرجتَ أنت من بيتك فوجدتها تتلوى من شدةِ الألم, أخذتها من ذيلها و بكل قواك رميتها بعيداً دون أدنى رحمة.

– نعم, نعم تذكرت, و لكن ما شأنك بتلك القطة السوداء المزعجة؟

– ألم يأمركم دينكم الرفق بالحيوان؟ تلك القطة كانت أنا, وقتها فاجأتني زحرات الولادة و أنا أجمع الحطب, لم أجد سوى ذلك المكان أتدارى فيه عن أعين الإنس, وضعت الحطب لألد, و عندما رأيتكَ قادمٌ نحوي, تحولتُ إلى قطة.

منعتها العبرة من الاستمرار في الشكوى.

نَظَرَت للقاضِ: في الصباح وجدتني "تقية" و أنا مدمية.

ألتفتت تخاطبني: لا تقُل بأنك لا تعرف مجنونة القرية التي كنتم تسخرون منها, و تتركون أطفال القرية يركضون خلفها, و يرمونها بالحجارة, رغم خدمتها لكم و نساءكم ليلاً و نهاراً.

أعادت نظرها نحو القاض: لقد أخذتني لتعتني بي في غرفةٍ قديمةٍ مُشققة لا تحجب عنها الرياح, و لا تحميها من الأمطار و حين أفقت كُنتُ قد فقدتُ ما أحملُ في أحشائي.

بَرَكَت على الأرضِ, تنتحب: سبعة عشر عام و أنا أنتظر مولود, و عندما تقترب لحظة أمومتي تأتي لتحرمني منها, لن أغفرَ لك لأنك أنت من حرمني هذا الشعور و للأبد.

القاضي:

– هل لديك ما تقوله أيها الحجام؟

– مـاذا أقـول و أنـا بـين أيـديكم، إن كـان لابـد مـن الانتقـام فلتقتلـني, مـا ذنـب أولادي حـتى تقـتلهم, ثم أنـا لم أكـن أعلـم أن تلك القطة السوداء كانت هي.

طأطأت رأسي و الحزن و الأسى قد ملأ قلبي.

القاضـي: ارفـع رأسـك أيهـا الإنسـي فلـيس عليـك شـيء, "سـلمى" هـي المدانـة بقتـل أولادك، لقـد أخطـأت عنـدما تحولـت إلى قطة, فأنت لا علم لك أنها من الجن.

و بعد ساعة صدر الحُكم...

حكمـت المحكمـة برفـع الضـرر الـذي أنزلتـه "سـلمى" علـى ابـن الحجام و القصاص بجريمة قتل أولاده الثلاثة.

صِـحتُ: لاااااا, لا أريـد القصـاص منهـا, ارفعـوا الضـرر عـن ولـدي, و اخلـوا سـبيلها, فقـط لتتعهـد بـأن لا تتعـرض لي ولا لأحدٍ من أفرادِ أسرتي بمكروه.

الغرفة 103 - عبدالله محمد عبدالله

إنها الواحدة بعد منتصف الليل، علي طريق الولايات المتحدة101، ذلك الطريق السريع الذي يربط بين ولايتي كاليفورنيا و اوريغون مرورًا بواشنطن و هو من أهم الطرق السياحية بالولايات المتحدة، فهو طريق ساحلي من المقام الأول، تتقدم سيارة من ماركة (BMW) الفاخرة الطريق حيث تشق سكون الليل، بداخلها شاب عشريني له شارب كث، و عيون جاحظة، و أنف افطس، ذو بشرة خمرية يدعي مارك، تبدو عليه معالم الثراء دون أدني شك، في الخلفية إحدي الأغاني الشبابية الصاخبة التي تلهب حماسك، تسير السيارة عن يمينها ساحل المحيط حيث تتضارب الأمواج بعنف مع الشاطئ ،و عن يسارها الجبال الشاهقة و المنحدرات الوعرة، تعلوها بعض الأشجار شاهقة الأرتفاع و التي تُعطي

منظـر أكثـر سـحراً، في الأفـق يمتـد الليـل الحالـك إلا مـن بعـض الإضاءة الخفيفة المنبثقة من القمر في محاولة لتبديد الظلام.

مـارك كـان ينتـوي الـذهاب لكاليفورنيـا؛ لقضـاء بعـض الأمـور الهامـة المتعلقـة بعملـه هنـاك، مـارك شـاب مغـامر ورث العديـد مـن الشـركات عـن والـده و الـتي اسـتطاع بذكائـه الحـاد و فطنتـه أن يطورهـا و يعمـل علـي تحسـينها؛ ممـا كـون لـه ثـروة كبيـرة في هـذا السـن الصـغير، مـارك مـن عشـاق السـفر لـيلاً حيـث الهـدوء و السـكينة و أضـواء القمـر الخافتـة، العديـد مـن الأشـخاص يعتـبرون تلـك الأجـواء مـدعاة للرعـب و تـوجس الخيفـة، لكـن لـو أردت رأيـي أنهـا أكثـر الأجـواء رومانسـية و شـاعرية، اكثـر الأجـواء الـتي تبعـث في الـروح الطمأنينـة و خاصـة لـو كنـت علـي طريـق الولايـات المتحـدة 101 في المحـيط بامواجـه المتصـارعة مـن ناحيـة، و الجبـال و الاشـجار الشـاهقة مـن الناحيـة الأخـري في مثـل تلـك الأجـواء هنـاك شـاعر مـا كتـب قصـيدته الغراميـة، هنـاك روائـي خـط الخطـوط الأولي مـن روايتـه، في مثـل تلـك الاجـواء و

علـي أحـد جوانـب الطريـق هنـاك عاشـقان الهبـت تلـك الاجـواء مشـاعرهما فقـرر العاشـق دك أسـوار معشـقوته، هنـاك عاشـق مـا يقـتحم القلعـة المنيعـة لفتاتـه المدللـة و يختلسـان لحظـات مـن جـنح الليل.

كـان مـارك يدنـدن بعـض كلمـات الأغـاني و في عقلـه تـدور بعـض الأمـور المتعلقـة بعملـه في حـين بـدأت سـيارته تتعطـل دون أسـباب باديـة؛ فقـرر التوقـف علـي إحـدي جوانـب الطريـق لـيفحص الخلـل الـذي أصـاب سـيارته فجـأة، إن كنـت تـوافقني الـرأي فهـو مـن الحـظ العـاثر أن تتوقـف سـيارتك في تلـك السـاعة المتـأخرة مـن الليـل و في ذلـك المكـان النـائي، وبعـد عـدة محـاولات يائسـة أدرك في نهايتهـا أنـه سـيطر للمبيـت تلـك الليلـة خـارج حـدود المدينـة المقصـودة، فأخـذ يجـول بعينيـه قلـيلاً ليجـد مبـني علـي مرمـي البصـر، لم يتبـين تفاصـيله حيـث يبعـد عنـه مايقـارب ال 400 مـتر و يحـيط بـه سـور يمنـع الرؤيـة؛ ليخـرج هاتفـه و يتبـين هويـة ذلـك المبـني عـن طريـق ال GPS ليكتشـف أن ذلـك

المبني و الذي يكاد يكون قائم بمفرده في تلك البقعة ما هو إلا مبيت للنزلاء، فقرر أن يقضي ليلته في ذلك المكان حتي تخرج الشمس بأشعتها فيمكن أن يستعين بأي شخص ليصلح له سيارته.

يقترب مارك من النزل ليكتشف أنه امام مبني من الطراز المكسيكي القديم، انه أمام بناية من طابقين كل طابق يتخطي ارتفاعه الثلاث أمتار بقليل، لا تستطيع تحديد اللون الأصلي للبناية من شدة قذارتها و قدمها أيضا و لو كان يميل لونها للأصفر.

أمامها حديقة صغيرة بها بعض الأشجار التي ذبلت أوراقها يحيط بها سور لا يتخطي الأربعة أمتار، به بوابة حديدية عتيقة و التي بدوره دفعها مارك؛ لتصدر صرير مزعج.

يتقدم مارك من البناية في اشمئزاز؛ ليقتحم الباب في ضيق، النُزل من الداخل غاية في الجمال حيث يمكنك القول أن

مصمم ذلك المبني و الذي وضع تلك اللمسات الساحرة فنان دون أدني مبالغة، فالتماثيل تنتشر في أركان صالون الأستقبال، هناك العديد من اللوحات احداها لفتاة عارية تستر مفاتنها بيديها، و الأخرى لفتيات حسناوات يداعبن بعضهن أمام بركة مياه، و أخري لجواد أسود اللون يركض تحت أشعة الشمس، هناك (جرامافون) يطلق موسيقي هادئة حزينة لتتلائم مع تلك الأجواء الكلاسيكية ، إن مارك برغم سنه الصغير إلا أنه متذوق جيد للفن عاشق للكلاسيكيات.

في نهاية الصالون مكتب استقبال خشبي عتيق بعض الشيء يقف خلفه عجوز يقف كتمثال من شمع علي وجهه ابتسامة خفيفة، يطلب منه مارك استئجار غرفة ليوم واحد فقط فيعبث العجوز في صندوق خشبي أمامه؛ ليخرج مفتاح غرفة في الطابق الثاني المفتاح به بطاقة تحمل الرقم "105" و يعيطيه المفتاح و هو يشير له لمكان الغرفة في بشاشة، يهم مارك للانصراف الا أنه سمع صوت العجوز يناديه ليقول له و قد

اختفت الابتسامة من علي وجهه و هو يقول "إياك أن تزعج نزيل الغرفة "103" حاذر من الأقتراب منها يا سيدي و عند مرورك من أمامها أسرع الخطي، اياك و الاقتراب"

كان ذلك كفيلاً بأن يبعث بعض من الرعب علي نفس مارك، لكنه كان يقنع نفسه بأنها قد تكون غرفه صاحب الفندق و هو لا يحب أن يزعجه أحد، و في أثناء مرور مارك في الممر المؤدي لغرفته يلاحظ غرفة ذات باب قديم للغاية مكتوب عليه "103" فاشتعلت بداخله تلك الصفة الحيوانية التي أبت ترك ابن آدم و شأنه إنه الفضول سيد المصائب و قاتل الأغبياء و الأذكياء أيضاً، منظر الباب و القشعريرة التي لامست قلب مارك عند مروره من أمام الباب جعلت الفضول يصل لذروته بداخله، أنه يريد معرفة سبب التحذير يريد معرفة سبب القشعريرة التي لامست قلبه، لم يشعر إلا و يده تدير المقبض؛ ليفتح الباب ببطء، فتح الباب بمقدار يسمح له بالرؤية و ما إن فتح باب الغرفة حتي شعر بهواء بارد يلافح وجهه وكأن

الباب ما هو الا بوابة تنقلك إلى القطب الشمالي، أخذ يجول بنظره داخل الغرفة... الغرفة كانت مظلمة للغاية إلا من ضوء القمر الذي يدخل الغرفة على استحياء، اثاث الغرفة مبعثر و محطم و هناك صوت طرقات تأتي من أحد أركان الغرفة؛ فيحول مارك نظره الي اتجاه الصوت؛ ليجد سيدة ترتدي فستان أبيض ممزق من الأسفل به بعض البقع السوداء و التي رجح مارك أنها دماء، شعرها طويل يصل إلى مؤخرتها، كانت السيدة تقوم برزع رأسها بعنف في الحائط حتي ان دماء رأسها أخذت ترسم لوحات المعاناة علي الحائط، كان مارك يراقب ذلك المشهد الدرامي بقلب خائف مرتعش وأوصال ترتعد يشعر بأن العطب أصاب مفاصله فلم يعد يقوى على الحركة، و في حركة ميكانيكية خالية من الحياة تدير تلك السيدة رأسها لتنظر إليه بعيون زجاجية و ملامح غاضبة كافية أن تفكك الجبال من الخوف، كانت ملامحها توشي بأنها غاضبة و بشدة مما جعل مارك يحاول أن يتراجع قبل أن يحدث ما لا يحمد عقباه، و لكن قد فات الآوان؛ فقد اختفت من مكانها و في

أجـزاء مـن الثانيـة كانـت تقـف أمامـه في مشـهد أعـتى مـن أشـد كوابيسه.

كانـت المسـافة الفاصـلة بينهمـا لا تزيـد عـن الـنص مـتر، شـعرها كـان يطـير في الهـواء و كأنـه ثعـابين تـتراقص، عينيهـا جـاحظتين تطقـان شـراراً،ملامحها بـدت أوضـح و أكثـر فزعـاً؛ فوجههـا أسـود اللـون غاضـب؛ هنـاك خـيط مـن الـدماء الـذي يخـترق وجههـا كأنـه النيـل يشـق أرض مصـر، و كانـت تصـرخ... تصـرخ بعنـف حـتي أن زجـاج النوافـذ بـدأ في الـتحطم، تصـرخ و كـأن هنـاك مـن يسـكب الحمـم في جوفهـا، كـان مشـهد كفيـل أن يجعـل مـارك يفقد وعيه بعد أن يبول في سرواله.

يفيـق مـارك مـع دخـول أشـعة الشـمس لتلـك البنايـة اللعينـة و يشـعر بأيـادي مرتعشـة تحـاول إعـادة وعيـه؛ لينـتفض في ذعـر و قلـق؛ ليجـد أنـه مسـتلقي علـي كرسـي في صـالون الأسـتقبال و أمامـه ذلـك العجـوز ينظـر إليـه في أسـف و نـدم، و يحـاول تهدئـة مـارك الـتي تقلصـت عضـلاته، وزادت قرحـة معدتـه؛ لتجعـل نـيران

فضوله تكوي معدته ألماً و قبل أن ينطق العجوز بكلمة بادره مارك بسؤاله "ما قصة تلك الغرفة؟ من تلك التي بداخلها؟

ليأتيه صوت العجوز مرتعشاً: لقد جلبت على نفسك اللعنة ثم تقسو ملامحه و هو يقول بصوت غاضب: ا لم أحذرك ايها الوغد لقد جلبت لنفسك الموت، لقد جلبت لنفسك اللعنة لعقر دارك.

كانت تلك الكلمات كفيلة أن تجن جنون مارك هذا و إن كان قد تبقي شيء من عقله، يكمل العجوز حديثه: "إنها شبح فتاة سكنت الفندق منذ خمسون عاماً تعرضت للاغتصاب من قبل صاحب الفندق و توفيت نتيجة اصطدام رأسها بالحائط في إحدي محاولات للهرب من ذلك الوغد، عثر عليه بعدها مقتول أمام غرفتها و تعرض العديد من النزلاء بعدها للقتل أمام باب غرفتها، و منذ ذلك الحين و روحها غاضبة تأبي مفارقة الغرفة، ولولا إنقاذي لك في اللحظات الاخيرة؛ لصرت الآن ضحية جديدة تنضم إلى قائمتها، لكن

العجيب أنها لما تحاول إيذاء أي شخص منذ ما يقارب العشر سنوات حتي بدأت في الاعتقاد أن روحها غادرت الغرفة، لكن من الواضح أنني اخطأت الاعتقاد "

سمع مارك هذا الكلام حتي جن بالكامل و فقد صوابه؛ ليدفع العجوز من أمامه و ينطلق مسرعاً خارج النُزل باتجاه سيارته و هو يركض؛ ليقفز بداخل السيارة و التي ما ان حاول السير بها حتي أختفي العطب الذي اصابها و عملت بأحسن حال ،و هذا ما أدهشه!

لكن ليس هناك وقت للدهشة؛ لينطلق بأقصي سرعة بالسيارة و كأن وحش الأرض تركض خلفه حتي سار مسافة لا بئس بها؛ ليهدأ من سرعته قليلاً و يشرد بذهنه قليلاً فيما حدث في الليلة الماضية... منظر تلك الفتاة و صوت صراخها الذي يصم الآذان.

لم يخرجه من شروده إلا صوت شيء يخدش زجاج سيارته؛ ليجد أن الزجاج الأمامي للسيارة يكتب عليه بدماء طازجة "لقد عشقتك... انضم إلي الآن... لا تحاول الإفلات مني" لم يشعر مارك بنفسه بعد قرأته تلك الكلمات، يبدو أن الأمر منذ البداية مدبر، لقد وقعت روح غاضبة في عشق مارك فقررت التلاعب به و الرأي الأرجح انها ستنقله إلى عالمها كان ذلك باديًا للعيان من خلال السرعة الجنونية للسيارة و التي يبدو و كأنها تحاول دخول موسوعة جينيس في السرعة القياسية، لكن الغريب أن مارك لم يلمس السيارة لقد شلت أعضائه من الخوف إنه ايضًا لا يشعر بالسرعة الجنونية التي تسير بها السيارة الآن.

بدأت تلك الفتاة في الظهور و هي تستند علي زجاج السيارة من الخارج، بدأت في الصراخ و محاولة كسر الزجاج برأسها حتي بدأت آثار الدماء تظهر علي الزجاج و هي تصرخ بعنف حتي أن مارك حاول أن يسد أذنه بيديه لكنها كلها محاولات

فاشلة، يظهر على وجهها شبح ابتسامة مخيفة مع بداية تشقق الزجاج الأمامي ، كان مارك يراقب كل هذا و هو صامت تكاد تسمع صوت ضربات قلبه العنيفة لم يشعر إلا و يدها تلامس وجهه و هي تقترب بعد تحطيمها للزجاج و تهمس له "أعشقك... أنت الوحيد الذي رقت لي... أنضم إلي الأن".

حرك مارك رأسه في علامة نافية في خوف؛ لتختفي الابتسامة من علي وجهها و تتبدل ملامحها للغضب و هي تصرخ "أنضم لي الآن"

ليجد مارك سيارته تسقط من فوق منحدر و هو بداخلها، لتدحرج السيارة علي المنحدر حتي تنفجر فجأة؛ لتطلق لهيب عالي يمكنك أن تلاحظ بوضوح بداخله صورة هولوجرامية لفتاة تتراقص في رشاقة و فرح و كأنها في يوم عرسها.

كتاب أفكار حرة... هو مجموعة قصصية مكونة من 15 قصة قصيرة... بقلم 15 كاتبًا عربيًا... الكُتاب الفائزون في مسابقة القصة القصيرة لصفحة "سوق كتابك" على الفيس بوك.

تطرح القصص مواضيع متنوعة بين الخيانة والبحث عن الحياة والأمل في مستقبل مشرق.

محتويات الكتاب

تمهيد 4

مقدمة.....5

إهداء.. 6

الحراك - ليندة كامل.....7

القدر يرفض مغادرته - أنوار علي 13

النيزگ العجوز – بسمة بوالصوف.....21

أواخر ديسمبر - لميس محمد وهبي.....27

بأي ذنب - هويدا أبو سمك.....33

راعي الاحزان - خرايفية صندرة.....42

رصاصة في ضيافة الياسمين - مريم طلوس 58

عزيزتي عائشة - ايمان مصطفي 65

لم تكن مخالب إبليس - زينة صالح بدران 82

مدينة الموت - رامز بركات 124

مذكرات عاطل - اسامة الفرماوي 134

لم أعد قمرك يا أبي - دينا ريحاني.....142

تعويذة الحب - أسماء عقوني.....148

الحـجـام - ياسمين الآنسي 173

الغرفة 103 - عبدالله محمد عبدالله 195

بقلم أسامة الهرماوي

أفكار حرة

في هذه اللحظة تراءت لي صور أفواه تمضغ الجوع، وتنفث مرارة الحياة (ضربوا الأعور على عينه، قال:خسرانه.. خسرانه): هكذا علَّقت! أخذت الجريدة وقبل أن أنصرف تناهى إلى سمعي صوت أحد المسئولين منطلقاً من الراديو الموجود داخل الكشك الخشبي:(أن الحياة تبدأ بعد الستين).

تغيرت خيوط وجهي، وانطلقت مني ضحكات هستيرية أصابت الناس من حولي بالريبة والشك.

الحياة تبدأ بعد الستين؟ كيف ؟ و لم يبدأها بعد من هو دون الثلاثين! انسلخت من بين الجموع - وقد هدَّني التعب - إلى الطريق الموازي للترعة، تكوَّمت أسفل الربوة التي كنت أجلس عليها، طويت الجريدة، ورُحْتُ استرجع أحلام طفولتي: طبيب، بنت الحلال، بيت حقيقي مكوناته أي شيء آخر غير الطين والحطب و ... و ... أحلامي تنهش في لحمي و عظمي من جهة، وأحوالنا المادية التي لا تسر تضغط على أعصابي من جهة أخرى. أنهكني التفكير واليأس، سويت الجريدة بطول الجسد المنهك و ... نمت في الأربعين .....

تصميم الغلاف: سفيان

9 789776 717039

facebook.com/sawi9kitabak

سوق كتابك
رواية - قصة - خواطر - مجموعة أدبية